

هذا الكتاب يُهَدَى ولا يُبَاع

مَقَالَاتٌ إِيْمَانِيَّةٌ

الجزء الأول

* التزام المؤمن بدين الله *

* الرسول صلى الله عليه وآله أسوة حسنة *

* شجرة الإيمان وشجرة الكفر *

* الارتباط بين حب الله واتباع الرسول صلى الله عليه وآله *

* الحاجة إلى الإمامة *

الشيخ محمد أشكناني

الطبعة الثانية

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

هذا الكتاب يُهدى ولا يُباع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ
اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيِّكَ الْحَبِيبَةِ ابْنِ الْحَسَنِ
طَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ
وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا
وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ
طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

موقع ديوانية الشيخ محمد أشكناني :

www.alashkanani.com

عنوان المراسلة :

محمد حسين أشكناني

بيان - ص . ب ٦٦٦٩١

دولة الكويت 43757

Mohammad H. Ashkanani

P.O.BOX 66691 – BAYAN

STATE OF KUWAIT 43757

البريد الإلكتروني للمؤلف :

mohashk14@hotmail.com

البريد الإلكتروني للديوانية ولجانها :

mail@alashkanani.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم
محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

إن هذه المقالات عبارة عن الخطب والكلمات التي ألقيتها في
مناسبات مختلفة أحببت أن أجمعها في كتاب لعل الله عز وجل
يهدي شخصاً بواسطتها إلى معرفة الحق ، فأكون بذلك من
الفائزين حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير
المؤمنين عليه السلام : " وأيم الله لئن يهدي الله على يدك رجلاً
خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت " (١) .

وقد أجريت عليها بعض التعديلات لتناسب الأسلوب الكتابي ،
ولكن قبل أن تبدأ بقراءة هذه المقالات أرجو منك أن تقرأ
الملاحظات التالية بإمعان وتفكر :

الملاحظة الأولى :

إن هذه المواضيع موجهة إليك ، فأنت فقط وهذه المواضيع ،

(١) بحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٦١ ح ٣ .

ففي هذه المواضيع لا أريد من السامع أو القارئ العزيز أن يراقب الآخرين ويطبّق ما يسمعه أو يقرأه عليهم ، بل إن المواضيع نطرحها لك لتراقب نفسك ، لا تقل إن فلانا لا يفعل هذا الأمر أو ذاك الأمر وإن فلانا غير زاهد وفلانا عنده بيت فخم وفلانا عنده سيارة فارهة وفلانا عنده كذا ، فهذا ليس هو الهدف من هذه المواضيع ، فليس الهدف مراقبة الآخرين ، بل الهدف أن تراقب وتحاسب نفسك أيها المؤمن ، فراقب نفسك لترى هل تطبّق ما تقرأه وما تسمعه على نفسك أم لا ؟ ، فلا تقل مثلا فلان ليس زاهدا ، بل اسأل نفسك وأجب عن سؤالك لنفسك : هل أنت زاهد أم لا ؟

من خلال هذه المواضيع أريد أن أنبّه الإنسان المؤمن إلى بعض القضايا الإيمانية ، نريد أن نعيش حياة إيمانية ، ونساعد الآخرين على التحرك في اتجاه الإيمان ، فهدف هذه المواضيع هو أن يراقب كل مؤمن نفسه ويحاسبها بينه وبين الله عز وجل ولا يراقب الآخرين ، فالمؤمن ينظر إلى عيوبه ليصلحها ، ويحاول أن يساعد إخوانه المؤمنين على إصلاح أنفسهم لا أن ينشغل بعيوب الآخرين ويغفل عن عيوبه فيضيع عمره في مراقبة الناس ، ويكون بالتالي من الخاسرين الذين يضيعون أعمارهم فيما لا

ينفع ، فيخسرون الدنيا لانشغالهم بعيوب الآخرين ويخسرون
الآخرة لعدم إصلاح عيوبهم .

الملاحظة الثانية :

إن المواضيع التي أطرحها تمس واقعنا المعاصر من جهة ،
ومن جهة أخرى نحاول أن ننظر إلى الأمور نظرة صحيحة كما
يريدها الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته
عليهم السلام حسب فهمي القاصر من الآيات والروايات ،
وأرجو من القارئ العزيز أن لا يقبل الأفكار المكتوبة في هذه
المقالات على أنها أشياء بديهية لا تحتاج إلى نقاش ، بل اقرأ
وتفكر فيما تقرأ ، فإذا اقتنعت بها بعد التفكير فالفكرة تصير
فكرتك ، وأما إذا لم تقتنع بها فلا تتبناها ولا تدافع عن فكرة
أنت لست مقتنعا بها .

الملاحظة الثالثة :

أحاول أن أطرح في هذه المقالات بعض المواضيع المهمة التي
تتعلق بمسألة إيمان الإنسان ، من خلال هذه المواضيع نحاول أن
نستكشف حقيقة الإيمان ، نريد أن نصل إلى معرفة أن الإنسان
المؤمن كيف يجب أن يكون ، إن الإيمان ليس عبارة عن كلمات
تقال ، وإنما توجد للإيمان حقيقة لا بدّ أن نصل إليها حتى نقول

إننا فعلا مؤمنون حق الإيمان ، وحقيقة الإيمان نحاول أن نعرفها من خلال الآيات القرآنية الكريمة والروايات الشريفة ، فانطلاقنا سيكون من خلال الكتاب الكريم والسنة الشريفة حتى نصل إلى لبّ الإيمان ، وبالتالي نستطيع أن نقول إننا واقعا مؤمنون بالله تعالى ، فكل مواضعنا ستصب في هذا المجرى مجرى الإيمان للوصول إلى حقيقة الإيمان .

الملاحظة الرابعة :

إن دراسة الإيمان لا بدّ أن تكون بطريقة مترابطة ، لذلك فإن المواضيع التي أطرحتها في كل مقالة مرتبطة بالمواضيع في المقالات الأخرى ، وكل مقالة تكمل المقالة الأخرى لأن كل جوانب الإيمان لا يمكن توضيحها في مقالة واحدة ، بل ندرس الإيمان بطريقة متجزّئة في كل مقالة ، فندرس في كل مقالة جزءا وجانبا من الإيمان حتى نصل تدريجيا إلى الصورة الكاملة للإيمان ، وبعد معرفة الجوانب المختلفة للإيمان نطبقها جميعا على أنفسنا حتى نحصل تدريجيا على الإيمان الكامل ، ففي كل مقالة نتناول جانبا من جوانب الإيمان ، وإذا أتضح هذا الجانب نستطيع أن ننتقل إلى الجوانب الأخرى ، ودوري أن أؤسس أساسا وهو توضيح حقيقة الإيمان للناس من جهة ، ومن جهة أخرى ربطهم بالإمامة

الحقيقية حتى يرتبطوا بها ارتباطا حقيقيا لا مجرد ادعاء ولقلقة لسان ، وبعد بناء هذا الأساس أستطيع أن أصعد بالبناء إلى الأعلى وأوضح البناءات الفرعية القائمة عليه من العقائد والفقهِ والأخلاق وغير ذلك ، وبذلك أستطيع أن أبين ثمار الإيمان من خلال الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، فكل المواضيع ستكون مواضيع إيمانية مأخوذة من الكتاب والسنة ، وبهذه الطريقة نسير في طريق الإيمان .

الملاحظة الخامسة :

إن الهدف من هذه المواضيع هو الوصول إلى معرفة أن الإنسان المؤمن كيف يكون ملتزما بدين الله التزاما كاملا ، ولكن هذا الالتزام الديني لا بدّ أن يكون ناتجا من الإيمان الراسخ في النفس ، فالإيمان إذا كان راسخا في القلب فإن النتيجة هي أنه بمجرد ما أن يسمع المؤمن أن هذا الشيء من ثمار الإيمان فإنه يأخذ به بشكل طبيعي جدّا لا تكلف فيه ولا يحتاج إلى أن يتصنّع ، فهدفنا الوصول إلى مواضيع نتحدث عن الإيمان ، ومن خلال هذه المواضيع نحاول أن نغيّر حياتنا لأن حياتنا التي نعيشها اليوم لا تعبّر عن حقيقة الإيمان تماما ، فقد يكون الشخص غافلا فيحتاج إلى تذكير أو قد يكون جاهلا لا يعرف

أن هذا الشيء له علاقة بإيمانه فيحتاج إلى تعليم ، ولا نريد أن يضيّع المؤمن حياته في فعل المباحات ، بل يجعل الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر واستقرار ، فهدفنا أن نصل إلى المواضيع التي تصبّ في مجرى الإيمان من أجل الوصول إلى حقيقة الإيمان .

الملاحظة السادسة :

إن هذه المواضيع هي حصيلة عمر ونتاج تفكير ، فأرجو من القارئ العزيز أن لا يقرأها قراءة الجرائد ، بل لا بدّ أن يقرأها قراءة تفكّر وتدبّر وتمعّن ، ويحاول مناقشتها وإبداء الرأي فيها ، ولا يأخذها أخذ المسلمات لأن كل فكرة قابلة للنقاش والأخذ والردّ ، وما تمّ في هذه المقالات هو فهم الدين الإسلامي من خلال الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، ولا أدعي أن كل فكرة طرحتها هي فكرة معصومة ، بل هي أفكار سمعتها من العلماء وأخذتها من كتبهم وتفكّرت بها فأخذت بما اقتنعت به بالدليل ، وتركت ما لم أقتنع به ، وأضفت إليها ما فهمت حسب فهمي الخاص القاصر اعتمادا على الأسس التي درستها في الحوزة العلمية حفظها الله تعالى من نوائب الدهر .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم

محمد وآله الطيبين الطاهرين .

التزام المؤمن بدين الله

القسم الأول^(١)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم
محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

مقدمة :

نحتاج أولاً إلى مقدمة ثم ننطلق إلى بعض جوانب الإيمان ، إن
الإنسان عندما يريد أن يعتقد بشيء فلا بدّ له أولاً من معرفة
هذا الشيء معرفة دقيقة حتى يعتقد به عن علم ، فالاعتقاد لا
بدّ أن يكون مبنياً على العلم والمعرفة ، وبعد أن يعتقد بهذا الشيء
عن علم لا بدّ أن يلتزم بما يترتب على هذا الاعتقاد من أمور ،
وهذا الالتزام يأتي إذا كان الاعتقاد عن قناعة ، فالاعتقاد عن
قناعة يجعل هذا الاعتقاد راسخاً في النفس بحيث لا يمكن أن
يزول بسهولة ، والإنسان إذا آمن بشيء فإن إيمانه له ثلاثة

(١) ألقى هذا الموضوع في خطبة الجمعة في منطقة مبارك الكبير بتاريخ

١٠ ربيع الثاني ١٤٢٠ هـ الموافق ٢٣ / ٧ / ١٩٩٩ م .

١٢ التزام المؤمن بدين الله - القسم الأول

رؤوس : الاعتقاد القلبى ، والتلفظ بهذا الاعتقاد ، والعمل
بمتطلبات هذا الاعتقاد ، وهذا ما يفهم من قول الإمام جعفر
الصادق عليه السلام : " الإيمان هو الإقرار باللسان وعقد في القلب
وعمل بالأركان " (١) .

إذن : الإيمان بشيء يلزم منه ثلاثة التزامات : الالتزام
القلبى ، والالتزام اللفظى ، والالتزام العملى ، وفي الواقع
الالتزام اللفظى والعملى قائمان على الالتزام القلبى ، فالالتزام
القلبى هو المهم لأن الالتزامين الآخرين مترتبان على الالتزام
القلبى بشكل طبيعى وكنتيجة طبيعية ، يقول الإمام الصادق عليه
السلام : " إن الإيمان ما وَقَرَ في القلوب " (٢) .

النتيجة : المؤمن الحقيقى هو من يكون الإيمان مستقرًا في
قلبه ، وتكون أقواله وأفعاله ناتجة من هذا الإيمان المستقر الثابت
الراسخ في قلبه ، وتكون أقواله وأفعاله ثمارا لهذا الإيمان .

قد يقال : إننا نرى كثيرا من الناس يقولون إنهم يعتقدون
ويؤمنون بشيء ومع ذلك نجد أنهم عمليا يخالفون ما يعتقدون ،
فما هو تفسير ذلك ؟

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٧ ح ١ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦ ح ٣ . وَقَرَ : ثَبَّتَ وَسَكَّنَ .

الجواب :

إن مخالفتهم العملية لاعتقادهم دليل على أن هذا الاعتقاد ليس مترسّخاً في نفوسهم ، وحديثهم عن إيمانهم هو لقلقة لسان فقط ولا يعبرُ تعبيراً حقيقياً عن واقعهم ، فهم إما أنهم لا يؤمنون فعلاً بهذا الشيء وإما أن إيمانهم ضعيف غير راسخ بحيث يزول بسرعة مع أقل رغبة بالشيء المخالف .

الخلاصة :

علينا أن نحاول جعل الإيمان راسخاً رسوخاً قوياً في النفس ، والإيمان الراسخ له ثلاثة جوانب : الالتزام القلبي وهو المهم ، والالتزام القولي والعملية مترتبان على الالتزام القلبي إذا كان راسخاً في النفس ، فمهمة المؤمن ترسيخ الاعتقاد القلبي .

حقيقة المؤمن بالله عز وجل :

بهذا الإيمان الحقيقي كيف تكون حقيقة المؤمن الذي يقول إنه مؤمن بالله تعالى ومؤمن برسوله ومؤمن بالأئمة المعصومين عليهم السلام ومؤمن بالعقائد الأخرى ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال لا بدّ من معرفة الفرق بين المسلم إسلاماً ظاهرياً والمؤمن إيماناً حقيقياً ، ومعرفة الفرق بين الإسلام الظاهري والإيمان الحقيقي المترسّخ في النفس ، وهذا ما

نحاول أن نكتشفه من الروايات الشريفة .

في رواية عن حمران بن أعين عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : سمعته يقول : " الإيمان ما استقرَّ في القلب وأفضى به إلى الله عز وجل وصدَّقه العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره ، والإسلام ما ظهر من قول أو فعل ، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها ، وبه حُقِّنتِ الدماء وعليه جرت المواريث وجاز النكاح واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فخرجوا بذلك من الكفر وأضيفوا إلى الإيمان ، والإسلام لا يشرك الإيمان ، والإيمان يشرك الإسلام ، وهما في القول والفعل يجتمعان ، كما صارت الكعبة في المسجد ، والمسجد ليس في الكعبة ، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام ، والإسلام لا يشرك الإيمان ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَكُنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَكَمَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ، . . . " (١) .

وفي رواية أخرى عن سماعة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أخبرني عن الإسلام والإيمان أيهما مختلفان ؟ فقال : " إن الإيمان يشرك الإسلام ، والإسلام لا يشرك الإيمان " .
فقلت : ففصهما لي . فقال : " الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٦ ح ٥ ، الآية الحجرات : ١٤ .

التزام المؤمن بدين الله - القسم الأول ١٥

والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله ، به حُقِّتِ الدماء
وعليه جرت المناكح والمواثيق ، وعلى ظاهره جماعة الناس ، والإيمان
الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به ،
والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة ، إن الإيمان يشارك الإسلام في
الظاهر ، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في
القول والصفة " (١) .

من خلال الروایتين السابقتين يتبين الفرق بين الإسلام
والإيمان ، فالمسلم بالإسلام الظاهري هو من يتشهد الشهادتين
ويؤدي مظاهر الأعمال العبادية فيصلي ويصوم ويحج وغير
ذلك ، فهو يضاف إلى الإيمان فيقال عنه إنه مؤمن ، أما
المؤمن الحقيقي فهو الذي يكون مهتديا ويكون الإيمان ثابتا
راسخا في قلبه ، ونتيجة إيمانه هي الأقوال والأفعال التي يأتي
بها ، ويؤدي العبادات كنتيجة طبيعية لإيمانه ، فالإسلام والإيمان
من حيث الظاهر لهما نفس المظاهر ، ولكن من حيث الباطن
يختلفان ، وذلك لأن المؤمن الحقيقي يتأثر بما يؤديه من أعمال ،
أما المؤمن الظاهري فهو يؤدي الأعمال دون أن يتأثر بها ،
والدليل على ذلك أن كثيرا من الناس يؤديون كثيرا من الأعمال

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٥ ح ١ .

العبادية من الحج والعمرة والزيارة في كل سنة وحضور المساجد والحسينيات ، ولكن مع ذلك ترى من خلال معاشرتك لأحدهم مدة عشر أو عشرين سنة أن هذا الشخص هو هو خلال هذه السنوات ، فحياته وأفكاره هي هي لم تتغير أبداً مع أنه خلال هذه السنوات الطويلة أدى فيها الأعمال الكثيرة ، والمفروض أن يتغير ويظهر تأثيرها على حياته التي يعيشها ، ولا بد أن يظهر هذا التأثير ونراه في أفكاره وأقواله وأفعاله وسلوكه ، ولكن تجد أن أفكاره وأقواله وأفعاله وحياته ثابتة لا تتغير خلال هذه السنوات الطويلة ، وهذا معناه أن هذه العبادات التي يؤديها هي عبادات ظاهرية لم تنفذ إلى أعماقه ولم تدخل إلى قلبه ، وطالما أن قلبه لم يتأثر فمن الطبيعي أن أفكاره وحياته لا تتغير ، فهو يأتي بظاهر العبادات ولا يدرك أن حقيقة العبادة وهدفها إنما هي الوصول إلى تغيير صورة النفس ، وبدون التأثير بالعبادات لا تتغير الصورة الداخلية للإنسان ، فليس الهدف من العبادات الإتيان بمظاهرها من الأقوال والأفعال فقط ، بل الهدف هو الوصول إلى لبّ العبادة وحقيقتها والتأثر بها ، وقد فرض الله الصلاة من أجل أن يربطك به سبحانه خمس مرات في اليوم فتتأثر ويبقى هذا الأثر مستمرا إلى آخر يومك ، ويأتي اليوم

التزام المؤمن بدين الله - القسم الأول ١٧

الثاني وتؤدي هذه العبادة أيضا وتتأثر خلال يومك ، فلبَّ العبادة هو تغيير النفس ، فالإنسان من خلال العبادة يجب أن يغيّر نفسه ، والمفروض أنه في هذا اليوم يكون شخصا مختلفا عن الشخص الذي كان بالأمس ، فيتقدم في إيمانه يوما بعد يوم ، فإذا كان الإنسان يتقرب إلى الله عز وجل عن طريق هذه العبادات فيقول : " أصلي قربة إلى الله تعالى وأصوم قربة إلى الله تعالى وأحُمس قربة إلى الله تعالى وأتصدّق قربة إلى الله تعالى " ؛ فالمفروض أن يتقرب إلى الله أي يقترب من الله تعالى أكثر ، فليس الهدف فقط لقلقة اللسان ، فالألفاظ بحدّ ذاتها ليس لها قيمة ، إنما قيمتها إذا كانت نابعة من القلب ، فيقول الإنسان : " أصلي قربة إلى الله تعالى فقط ولا أريد أهدافا أخرى " ، فإذا كان يقترب إلى الله من خلال هذه العبادات يوما بعد يوم فالمفروض أن حياته تتغير وأن يظهر أثر هذه العبادات على نفسه وعلى أقواله وأفعاله ، ولكن بعد هذه السنوات الطويلة من العبادات التي قد تُقربُ من ثلاثين أو أربعين سنة نرى أن حياته لم تتغير ، ونرى الأغلب منهم منكبًا على الدنيا ، والمفروض أنه بعد هذه السنوات الطويلة من التقرب إلى الله عز وجل أن يكون إنسانا أخروياً عارفا بالله ولا سيّما مع تقدّمه في

العمر ومع تَقْوُلِهِ بِأَنَّهُ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ ، ولكن مع ذلك تجد أنه مع تقدّمه في العمر وبلوغه ستين سنة مثلا تجده ما زال يفكر بجمع المال وبناء بيته وغير ذلك من الأمور الدنيوية مع أنه لم يبق له إلا خطوات معدودة إلى القبر ، فالإنسان إذا وصل إلى الخمسين من عمره فليستعد وليودّع الدنيا ، فمن بلغ الستين أو السبعين فمعنى ذلك أنه وصل إلى القبر ، فالمفروض أن يُمَهَّدَ قبره بدل أن يشغل تفكيره بالأمور الدنيوية ، ومعنى تفكيره بالأمور الدنيوية أنه ما زال متعلّقا بهذه الدنيا الفانية .

في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ما بين الستين إلى السبعين معتك المنايا " (١) .

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : " من أتت عليه الأربعمون من السنين قيل له خذ حذرك من حلول المقدور فإنك غير معذور ، وليس أبناء الأربعمين بأحق بالحدز من أبناء العشرين فإن طالبهما واحد وليس عن الطلب براقده وهو الموت ،

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ١١٩ ح ٢ .

التزام المؤمن بدين الله - القسم الأول ١٩

فاعمل لما أمامك ودع عنك زخرف القول " (١) .

وإليك هذه الرواية التي تبين نتيجة من يعبد الله حق العبادة ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : " في التوراة مكتوب : يا ابن آدم ! تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ولا أكلك إلى طلبك وعلى أن أسد فافتك وأملأ قلبك خوفا مني ، وإلا تفرغ لعبادتي (أي وإن لم تفرغ للعبادة) أملأ قلبك شغلا بالدنيا ثم لا أسد فافتك وأكلك إلى طلبك " (٢) .

طبعا في هذه الرواية العبادة لا تعني فقط الأعمال العبادية من الصلاة والصيام والحج وغيرها ، بل تعني أن حياة الإنسان كلها يمكن أن تنقلب إلى عبادة ، وأن الإنسان يستطيع أن يكون في كل أمر من أموره عابدا لله تعالى بأن يعرف ماذا يريد منه الله عز وجل في هذا الأمر وفي ذلك الأمر لأن الله تعالى في كل واقعة حكما معينا ، فيقول تقدم في هذا الأمر أو توقف في ذلك الأمر ، وهذا الأمر يقربك إلى الله ، وذلك الأمر يبعدك عن الله ، والأمر الآخر لا يقربك ولا يبعدك كما في المباحات ، فإذا فعل ما يريده الله في كل أمر من أموره فإنه يكون بذلك عابدا لله

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠ ص ٢٦٨ ح ١٠٥ .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٨٣ ح ١ .

حق العبادة ، فالإنسان في حياته لا بد أن يتقرب إلى الله تعالى في كل خطوة يخطوها ، فيعرف متى يتقدم ومتى يتأخر ، وأن هذا العمل عليه أن يؤدّيه أم لا ، وهذا الأمر يفكر فيه أم لا ، فيجب الالتفات إلى أن الله تعالى لم يكِل الإنسان إلى نفسه ليفعل ما يحلوه في هذه الحياة الدنيا ، بل خلقه فيها ليحاسبه على كل شيء بعد أن ينتهي من هذه الدنيا وينتقل إلى الحياة الأخرى ، فلا بدّ أن يلتفت الإنسان إلى أن هناك حسابا دقيقا على كل فعل يفعله ، وعليه أن يستعد بالأجوبة المناسبة قبل أن يحين الوقت ، فيسأل نفسه الآن : " لماذا فعلتُ هذا الأمر أو تركته ؟ هل أريد أن أتقرب إلى الله عز وجل أم أن لي هدفا آخر ؟ " ، والجواب لا بد أن يكون جاهزا ، فيستعد بالإجابة عن كل فعل يؤدّيه في هذه الدنيا ، ولنضرب أمثلة من حياتك : لماذا اشتريت هذا البيت ؟ ولماذا اخترت هذه السيارة ؟ ولماذا سافرت في الصيف ؟ ولماذا لم تلتفت إلى تربية أولادك ؟ ولماذا تركت الأمور بيد زوجتك تدير البيت كيفما تشاء مع أنك القيم على بيتك والمسؤول أمام الله عز وجل ؟ ولماذا تلبس زوجتك أو بناتك حجابا غير شرعي وتخرج إلى الخارج بلا أي إحساس بالغيرة من قبلك ؟ ولماذا تترك زوجتك تقود السيارة ؟ ولماذا . . ولماذا . . ؟

التزام المؤمن بدين الله - القسم الأول ٢١

هذه أمور من واقعنا ، وفي كل نقطة من هذه النقاط نحن بحاجة إلى بحث مستقل لمعرفة وجهة النظر الشرعية لا فقط الحلال والحرام لأنك قد تقول إن كل هذه الأمور جائزة إلا ما كان مخالفا للشرع ، ولكن هل يكتفي المؤمن في هذه الدنيا بأداء الواجب وترك الحرام فقط أو يجهّز الأجوبة الدقيقة لكل أمر من هذه الأمور لأن هناك حسابا دقيقا على كل شيء يقوم به الإنسان ؟ ، والله تعالى يقول :

﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَفَرِمَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ مَرْبُوكَ أَحَدًا ﴾ (١) .

إن شاهدنا من الآية الكريمة هو ﴿ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ ، قد يفكر الإنسان بأشياء صغيرة جدا ، ولكن مع أنها صغيرة فإن الله سيحاسبه عليها ، فيجب على الإنسان حينما يفعل أي شيء أن يلتفت إلى الله عز وجل ، فهناك رقابة دائمة ومستمرة على الإنسان ، فعليه أن يلتفت إلى ما يؤديه بدقة وحذر لأن عين الله لا تنام ولا تغفو .

(١) الكهف : ٤٩ .

الخلاصة :

إن المؤمن الحقيقي هو الذي يكون الإيمان مستقرًا راسخًا في قلبه ، وتأتي كل أعماله من الأقوال والأفعال وحتى الأفكار كنتيجة طبيعية لا تصنع ولا تكلف فيها بسبب هذا الإيمان الراسخ في نفسه ، فيؤدّي العبادات مثلا بشكل طبيعي ولا يشعر بثقلها على نفسه بل يؤدّيها باشتياق وسعادة ، وإن من يعبد الله عز وجل حقّ العبادة لا بدّ أن تترتب على عباداته النتائج المذكورة في الآيات الكريمة والروايات الشريفة ، لذلك فإن المؤمن لا يرائي - على سبيل المثال - إذا كان الإيمان راسخا في قلبه ، ولا يتصنّع ولا يترك أي عمل لأن الناس يراقبونه .

والإيمان له ثلاثة جوانب : التزام قلبي وهو المهم ، والتزام عملي والتزام لفظي .

وسنحاول الوصول إلى معرفة أن المؤمن كيف يكون ملتزما التزاما عمليا بإيمانه لأنه من المفروض أن لا تكون حياتنا كما هي الآن حيث نرى أن كثيرا من المؤمنين يحضرون المساجد والحسينيات ، ولكن حياتهم لا تعبر عن الإيمان ، فيعيشون مثل الإنسان المسيحي ومثل الإنسان اليهودي بل ومثل الإنسان الكافر ، فحياتهم العملية لا تختلف عن حياة هؤلاء مع أنه مؤمن بالله

التزام المؤمن بدين الله - القسم الأول ٢٣

ومؤمن برسول الله صلى الله عليه وآله ومؤمن بالأئمة عليهم السلام ، فحياتهم لا بدّ أن تكون مختلفة عن حياة هؤلاء .
إن المؤمن يؤمن بوجود الآخرة والكافر لا يؤمن بوجود يوم للحساب ، فالإيمان بالآخرة لا بدّ أن يقدم لنا شيئاً في هذه الدنيا ويغيّر حياتنا حتى نصل إلى يوم القيامة ونحن مؤمنون حق الإيمان ، وحتى لا يحشر الشخص مع اليهود والنصارى والكافرين بالله تعالى .

في رواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : " من أحبّ قوما حُشِرَ معهم ، ومن أحبّ عمل قوم أُشركَ في عملهم " (١) .
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

(١) بحار الأنوار ج ٩٨ ص ١٩٦ ح ٣١ .

التزام المؤمن بدين الله

القسم الثاني^(١)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم
محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

مقدمة :

قلنا إنه إذا أراد الإنسان أن يعتقد بشيء فلا بد أن يكون
اعتقاده عن علم ومعرفة ، وبعد أن يعتقد بهذا الشيء لا بد أن
يلتزم بما يتطلبه هذا الشيء المعتقد به ، فهناك ثلاثة التزامات
لا بد أن يلتزم بها ، وهي : الالتزام القلبي وهو المهم ، ويترتب
على هذا الالتزام القلبي الالتزام اللفظي والعملي ، والمؤمن
الحقيقي هو من يكون الإيمان مستقرا في قلبه ويعمل بما يتطلبه
هذا الالتزام القلبي والإيمان الراسخ في القلب ، فأقوال المؤمن
وأفعاله تكون نتيجة طبيعية للالتزام القلبي والإيمان الراسخ ، ثم

(١) ألقى هذا الموضوع في خطبة الجمعة في منطقة مبارك الكبير بتاريخ

١٧ ربيع الثاني ١٤٢٠ هـ الموافق ٣٠ / ٧ / ١٩٩٩ م .

فرّقنا بين المسلم إسلاما ظاهريا والمؤمن إيمانا حقيقيا من خلال بعض الروايات ، فالمسلم بالإسلام الظاهري هو من يتلفّظ ويعمل فقط وقد لا يكون عنده الالتزام القلبي ، أما المؤمن الحقيقي فهو من يكون عنده الالتزام القلبي ويكون الإيمان راسخا في قلبه ، ويكون القول والفعل عنده مترتبين على الالتزام القلبي ، وذكرنا مثلا لبعض المؤمنين الذين يحضرون المساجد والحسينيات لسنوات طويلة ومع ذلك نرى أن حياتهم لا تتغيّر أبدا ، فيعيش اليوم كما كان يعيش قبل عشرين سنة مثلا ، إن حضوره للمساجد والحسينيات شيء جيد ولكن لا بدّ أن يوجد تأثير من هذا الحضور ، وترى أن بعض المؤمنين يذهبون إلى الحج والعمرة في كل سنة ، ولكن تجد أن حياتهم ثابتة لا تتغيّر ، ومعنى ذلك أنهم لم يتأثروا بالحج والعمرة التآثر المطلوب ، نعم قاموا بعمل ظاهري وتقولوا ببعض الألفاظ ، ولكن هذه الأعمال والأقوال لم تنفذ إلى قلوبهم فلم يتأثروا بهذه الأعمال التي قاموا بها ، ثم ذكرنا بعض الروايات التي تبين أن الإنسان الذي يعبد الله عز وجل يملأ تعالى قلبه غنى ويسدّ فاقتة ، فالإنسان الذي يعبد الله حق العبادة لا بدّ أن تترتب على عبادته النتائج المذكورة في الروايات ، والعبادة لا يقصد بها العبادات الخاصة من

الصلاة والصيام والحج ، بل لا بدّ أن تتقلب كل حياة الإنسان إلى عبادة ، ففي كل أمر يفعله الإنسان لا بدّ أن يؤدّيه كما يريد الله عز وجل ، فإذا فعله كما يريد الله فهو يكون عابداً لله حق العبادة ، ثم وصلنا إلى نتيجة وهي أن المؤمن الحقيقي هو من يكون الإيمان مستقراً راسخاً في قلبه وأن أعماله تكون نتيجة لهذا الإيمان الراسخ دون تصنّع وتكلف أي أنه يؤدي الأعمال بشكل طبيعي ولا يشعر بثقلها على نفسه لأنها نتيجة طبيعية للإيمان المستقر في قلبه .

اعتقاد المؤمن قائم على العلم :

قلنا إن الشخص الذي يؤمن بشيء لا بدّ أن يكون اعتقاده مبنياً على العلم ، فلا بدّ أن يكون اعتقاد المؤمن قائماً على العلم والمعرفة ، فالإنسان الذي يؤمن بالله لا بدّ أن يكون اعتقاده بالله قائماً على معرفته به تعالى ، ومن يؤمن برسول الله صلى الله عليه وآله لا بدّ أن يكون اعتقاده بالرسول قائماً على معرفته بالرسول ، ومن يعتقد بالإمامة لا بدّ أن يعرف الإمام عليه السلام وأهميته وجود الإمام .

ويأتي السؤال التالي وهو : كيف يؤمن الإنسان بشيء مجهول لا

يعرف عنه شيئاً أو قد يعرف عنه شيئاً قليلاً غير معتدّ به ؟

التزام المؤمن بدين الله - القسم الثاني ٢٧

فإذا قال الشخص إنني أؤمن بشيء فتسأله عن هذا الشيء فيجيب : لا أعرف ، فكيف يكون مؤمنا به وهو مجهول لديه ؟!
إذن : الإيمان والاعتقاد لا بدّ أن يكون مبنياً على المعرفة ، فالمعرفة والعلم يعطي اقتناعاً للشخص فيؤمن بالشيء بعد علم واقتناع ، فيعلم بالشيء بدقة ويقتنع ثم يؤمن به .

وأوجّه السؤال التالي للشيعي الموالي لأهل البيت عليهم السلام : هل اتخذت هذا المذهب نتيجة للعلم والمعرفة بعد البحث والتفكير فيه والمقارنة بينه وبين المذاهب الأخرى أو اتّخذته عن طريق الوراثة من الوالدين أو من الأهل والأقارب أو من الأصدقاء ؟

صحيح أن الإنسان عندما يكون صغيراً يقلّد والديه ، ولكنه عندما يكبر يجب عليه أن يبحث ليصل إلى الحق ، وقد أعطاه الله تعالى آلة يميّز بها بين الحق والباطل ، والآلة هي العقل ، فبالعقل يستطيع الإنسان أن يصل إلى الحق ، ولو لم يعطه الله عز وجل هذه الآلة لما كان يمكن له تعالى أن يحاسب الإنسان على اعتقاداته وأعماله ، فالحساب يأتي من بعد إقامة الحجة ، والحجة على الإنسان هو العقل ، فلا بدّ على المؤمن أن يستعمل عقله للوصول إلى الحق بواسطة الدليل ، وبعد أن يصل إلى الحق

٢٨ التزام المؤمن بدين الله - القسم الثاني

بالدليل يقتنع به ، وبعد أن يقتنع يؤمن به لا فقط يؤمن به إيماننا سطحيا بل إيماننا راسخا لا يمكن أن يتزعزع ، بل يظل ثابتا على هذا الإيمان مهما حصلت له من أمور ومشاكل .

في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال : " حجة الله على العباد النبي ، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل " (١) .

وفي رواية أخرى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال : " اعرفوا العقل وجنده تهتدوا . . . ، وإنما يدرك الحق بمعرفة العقل وجنوده " (٢) .

وفي رواية ثالثة عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " لم يُعبد الله عز وجل بشيء أفضل من العقل ، . . . " (٣) .

إن العقل هو النبي الباطن ، فكما أن هناك نبيا ظاهرا يوجد أيضا نبي باطن هو العقل ، والإنسان مسؤول عن عقله الذي أودعه الله عز وجل عنده ، فيجب عليه أن يستعمل عقله ليصل به إلى الحق .

(١) الكافي ج ١ ص ٢٥ ح ٢٢ .

(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ١١٣ ح ١٠ .

(٣) بحار الأنوار ج ١ ص ١٠٨ ح ٤ .

التزام المؤمن بدين الله - القسم الثاني ٢٩

إذن : يبحث الإنسان فيعلم فيقتنع فيعتقد بما عرفه واقتنع به ، فالاعتقاد يكون مرتباً على العلم والاعتناع ، فيؤمن أولاً بالله تعالى بعد أن يعرف الله ، ويؤمن بالرسول صلى الله عليه وآله بعد معرفته ، ويؤمن بالإمام عليه السلام بعد معرفته وإدراك أهمية وجوده في حياته ، ويؤمن بهذا الدين بعد معرفته ، فيقتنع بهذا الدين وبأهمية وجود الدين في حياة الإنسان في هذه الدنيا .

وبعد الاعتقاد بهذا الدين يأتي دور العمل المبني على الاعتقاد ، فكل عمل يؤديه الإنسان لا بد أن يكون مرتباً على اعتقاداته ، وبدون العمل لا يكون للاعتقاد قيمة ، فالاعتقاد بمثابة الشجرة ، والعمل بمثابة الثمرة ، وشجر بلا ثمر لا قيمة له ، فالاعتقاد بلا عمل كالشجر بلا ثمر .

إذن : المؤمن الحقيقي هو الذي اعتقد عن قناعة ، وثبت هذا الاعتقاد في قلبه ، والتزم بكل ما يترتب على هذا الاعتقاد من التزامات ، فهذه الأعمال التي يقوم بها الإنسان الذي يؤمن بالله تعالى ويؤمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويؤمن بأئمة أهل البيت عليهم السلام تكون نتيجة للاعتقادات التي اعتقد بها .

يقول تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ أَمِنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءٌ الْحُسْنَى ﴾ (١) .

أي أن العمل الصالح مترتب على الإيمان ، والجزاء مترتب على الإيمان والعمل الصالح معا .

التزام المؤمن بدين الله نتيجة لاعتقاده :

إن نتيجة اعتقاد الإنسان عن علم واقتناع هي الالتزام بكل دين الله ، فالمؤمن الحقيقي هو الذي اعتقد بالله عز وجل ، وهذا الاعتقاد يجره إلى مجموعة من الالتزامات ، فهو يقيم حياته على أساس هذه الالتزامات ، فإذا أراد الله شيئاً فعله ، وإذا كرهه الله شيئاً تركه ، فهو يلتزم بكل ما يحبه الله عز وجل ويبتعد عن كل ما يكرهه الله عز وجل ، فهو يلتزم بكل دين الله المكوّن من مجموعة من الاعتقادات والأحكام الشرعية والأخلاقيات وغير ذلك ، وهذا التقسيم والتصنيف للدين إلى عقائد وأخلاق وفقه وغيرها إنما هو من أجل تسهيل دراسة الدين بمجموعه ، فقد قسّم العلماء الدين إلى هذه الأقسام لتسهيل المطالب على الدارس ، ولم يقصدوا أن الإنسان إذا درس العقائد فقط فهو

(١) الكهف : ٨٨ .

التزام المؤمن بدين الله - القسم الثاني ٣١

يستطيع الاكتفاء بذلك أو إذا درس الفقه فقط فإن ذلك يكفيه في تحركه ، بل يجب على الشخص الذي يريد أن يؤمن بهذا الدين أن يَطَّلِعَ على كل الجوانب التي تمثل دين الله تعالى حتى يكون مؤمناً حقيقياً لا مؤمناً ظاهرياً ومسلماً بالإسلام الظاهري فقط .

إن أساس هذه الالتزامات هو طاعة الله عز وجل ، هذه الطاعة المبنية على الاعتقاد بالله تعالى ، فالمؤمن يطيع الله في كل خطوة يخطوها ولا يعصيه طرفة عين متعمداً ، وبذلك يكون مؤمناً حقيقياً ، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال : " الإِيمانُ أن يُطاعَ اللهُ فلا يُعصى " (١) .

وفي رواية أخرى عن أبي عمرو الزبيرى عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : قلت له : أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله ؟ قال : " ما لا يَقْبَلُ اللهُ شيئاً إلا به " . قلت : وما هو ؟ قال : " الإِيمانُ بالله الذي لا إله إلا هو ، أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسنها حظاً " . قال : قلت : ألا تخبرني عن الإِيمان أقول هو وعمل أم قول بلا عمل ؟ فقال : " الإِيمانُ عملٌ كُلُّهُ ، والقولُ بعضُ ذلك العمل ، بفرض من الله ،

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٣ ح ٣ .

٣٢ التزام المؤمن بدين الله - القسم الثاني

بَيِّنُ فِي كِتَابِهِ ، وَاضِحٌ نُورُهُ ، ثَابِتَةٌ حُجَّتُهُ ، يَشْهَدُ لَهُ بِهِ الْكِتَابُ
وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ " (١) .

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال : " إِنْ الْمُؤْمِنُ لَمْ
يَأْخُذْ دِينَهُ عَنْ رَأْيِهِ ، وَلَكِنْ أَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ فَأَخَذَهُ " (٢) .

إن هذا الدين الذي هو دين الله عز وجل يبيِّن ما يريد الله تعالى في كل جوانب حياة الإنسان : في كل قول يقوله ، وكل كلمة ينطق بها ، وفي كل عمل يعملها ، وكل سلوك يسلكه ، وفي كل تصرف يقوم به ، وكل اختيار يختاره ، وفي كل طريق يسير فيه ، فقد بَيَّنَّ الدين رأيه في كل أمر من أمور الحياة من أبسط شيء ككيفية دخول الحمام أو كيفية الجلوس أو كيفية المشي إلى أعقد الأمور كالعلاقات الاجتماعية بين الناس ، أو كيفية التعامل الصحيح مع الدنيا ، أو إدارة بيت الزوجية أو علاقة الزوج بالزوجة حتى لا تصير القيمومة بيد المرأة ، أو المسائل العلمية المستحدثة التي هي في غاية التعقيد مثل قضية التلقيح الصناعي والاستنساخ ، كيف يريد الله عز وجل أن تُحَلَّ مثل

هذه المشاكل ؟

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٣ ح ١ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٥ ح ١ .

التزام المؤمن بدين الله - القسم الثاني ٣٣

كل هذه الأمور يجب أن نعرف رأي الدين فيها أي معرفة حكم الله عز وجل ، لذلك فإن كيفية معيشة الإنسان المؤمن في هذه الحياة الدنيا ليست خارجة عن أحكام الدين ، وكأمثلة بسيطة على ذلك كيفية اختيار السيارة وبناء البيت وشراء البضائع من السوق وماهيّة الملابس والمأكّل والمشرب ، ألا يوجد لله عز وجل حكم في كل هذه الأمور ؟

بالطبع يوجد حكم لأن لله حكما في كل جوانب الحياة ، ومن هذه الجوانب الأمثلة التي ذكرت ، ألا يحتاج المؤمن إلى رأي الدين ؟

إن رأي الدين ليس خارجا عن حياة الإنسان المعيشية التي يعيشها في كل يوم وفي كل لحظة من حياته ، بم تفكر أيها الإنسان المؤمن ؟

إن هذه الأفكار التي تمر في ذهنك لله عز وجل رأي فيها .
إذن : من يريد أن يكون مؤمنا حقيقيا لا بدّ أن يلتزم بكل أمور الدين وبكل حكم من أحكام الدين التي تمثل أحكام الله عز وجل في كل خطوة يخطوها حتى يَصْدُقَ عليه أنه فعلا مؤمن حقيقي يؤمن بالله تعالى ويؤمن بالرسول صلى الله عليه وآله ويؤمن بالأئمة المعصومين عليهم السلام .

يقول الله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

من هذه الآية الكريمة يتبين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤمن بما أنزل إليه من ربه ، وكذلك يفعل المؤمنون ، ثم بعد الإيمان يقولون سمعنا وأطعنا ، فيؤمنون بالله ويطيعون الله عز وجل ، وبعد الإيمان والسمع والطاعة يطلبون المغفرة ، فطلب المغفرة مترتب على الطاعة ، إن الإنسان الذي لا يطيع الله كيف يطلب مغفرة الله تعالى؟! ، فإذا كان يؤمن بالله إيمانا ظاهريا وهو في الواقع يخالف أوامر الله فكيف يجروا على طلب المغفرة من الله وهو عاص لله؟! .

إذن : من خلال هذه الآية الكريمة يكون المطلوب أولا الإيمان ثم الطاعة ثم طلب المغفرة .

إن هذه المغفرة تكون مترتبة على الاعتقاد والإيمان بالله عز وجل ، لذلك جُعِلَ التوحيد الأصل الأول من أصول الدين ، والأصول الأخرى وإن قلنا إنها أصول ولكنها في الواقع أمور

(١) البقرة : ٢٨٥ .

التزام المؤمن بدين الله - القسم الثاني ٣٥

متفرّعة على أصل التوحيد ، فمدار الكون هو التوحيد ، إن الله تعالى هو مدار الكون ، والأمور التي تجري في هذا الكون كلها مبنية على أصل التوحيد ، أما الأصول الأخرى وفروع الدين وما يتفرّع عنهما من أمور كلها متفرّعة على الأصل الأول الذي هو توحيد الله عز وجل ، فالعقائد والأخلاق والفقهاء وأمور الدين كلها تكون مترتبة على الاعتقاد بالله عز وجل ، فهو سبحانه الذي تتبع منه الاعتقادات الأخرى .

إن الخطوة الأولى للإنسان أن يرسّخ هذا الاعتقاد في نفسه ، فإذا ترسخ هذا الاعتقاد فإن كل الأمور الأخرى تأتي بشكل طبيعي وبلا تصنّع ولا تكلف ، فالأمور تجري كما يجري النهر إذا اعتقد الإنسان بالله عز وجل .

إذن : نحن نبدأ من الله عز وجل بالطاعة وننتهي إلى الله عز وجل بطلب المغفرة والثواب الجزيل .

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

إن الإنسان إذا أطاع الله عز وجل فإنه بشكل طبيعي يستحقّ

(١) النساء : ١٣ .

٣٦ التزام المؤمن بدين الله - القسم الثاني

الجنة بطاعته ، إنه هو الذي يوجد جنته أو ناره ، ولا يظن أنه سيدخل الجنة لأن اسمه شيعي وموالم لأهل البيت عليهم السلام ، ففي رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : " . . فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه . . " (١) .

إذن : بدون التقوى والطاعة فإن هذا الإنسان وإن كان يطلق عليه ظاهريا لقب شيعي وموالم ومحب لأهل البيت عليهم السلام ولكنه في الواقع ليس شيعيا ومحبا ومواليا حقيقة وإن ادعى بلسانه ذلك ، فمن يريد أن يكون شيعيا حقيقيا لا بد أن يدخل هذا الدين في كل خطوة يخطوها ، وأن يعمل بكل أمر من أوامر الله تعالى ، وأن يبتعد عن كل نهي من نواهي الله عز وجل .

وفقنا الله وإياكم للعمل بما نعلم حتى يعلمنا الله تعالى ما لم نعلم وأن نكون من المتقين والمطيعين لله عز وجل ، وأن يحشرنا مع محمد وآله الأطهار عليهم السلام .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

(١) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٩٧ ح ٤ .

(١) الرسول صلى الله عليه وآله أسوة حسنة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم
محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

قال الله تعالى في كتابه : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢) .
مقدمة :

إن الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
وبمواليد أهل البيت عليهم السلام هو مقدمة للارتباط بهم
سلام الله عليهم أجمعين ومعرفة دورهم وإدراك دورنا
تجاههم ، وبالتالي معرفة دورنا تجاه ديننا الحنيف وتجاه الحياة
الدنيا والآخرة ، إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو

(١) ألقى هذا الموضوع في مسجد الإمام المهدي عجل الله فرجه
بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٤٢٠ هـ الموافق ١ / ٧ / ١٩٩٩ م بمناسبة
مولد الرسول صلى الله عليه وآله .
(٢) الأحزاب : ٢١ .

٣٨ الرسول صلى الله عليه وآله أسوة حسنة

الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا
كما ذكرت الآية الكريمة .

وهنا تطرح الأسئلة التالية : ما معنى الأسوة ؟ ومن هم الذين
يتأسون برسول الله صلى الله عليه وآله ؟ وكيف يكون الرسول
صلى الله عليه وآله أسوة حسنة ؟

هذه الأسئلة بحاجة إلى أجوبة ، وهذه الآية الكريمة تقول إن
الرسول صلى الله عليه وآله أسوة حسنة ، وتوضح صفات الذين
يتأسون برسول الله صلى الله عليه وآله ، وسأجيب عن هذه
الأسئلة .

أولا : ما معنى الأسوة ؟

إن الأسوة معناها القدوة ، ومن تتبَّعهُ وترَضَى به وتريد أن
تكون مثله هو الأسوة ، وبهذا المعنى يمكن أن تكون الأسوة حسنة
ويمكن أن تكون سيئة ، وفي الآية الكريمة رسول الله صلى الله
عليه وآله هو الأسوة الحسنة أي القدوة الحسنة أي من تريد أن
تقتدي به وتكون مثله ، فهو المثل الأعلى للإنسان المؤمن لأن المؤمن
يحاول أن يصل إلى مقام ومكانة رسول الله صلى الله عليه وآله
في قوله وفعله وعمله كله ، فإن حياته صلى الله عليه وآله كانت
كلها قربة إلى الله تعالى ، فلم يكن يتحرَّك إلا بالوحي الإلهي ،

لم يكن يتحرك برأيه الخاص حتى يقال إنه كان يخالف أوامر الله تعالى أحيانا ، يقول الله تعالى :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ (١) .

إذن : رسول الله صلى الله عليه وآله هو قدوة الإنسان المؤمن ، والمؤمن يحاول أن يتأسى ويقتدي به صلوات الله وسلامه عليه وآله الطاهرين .

ثانيا : من هم الذين يتأسون برسول الله صلى الله عليه وآله ؟

لم تقل الآية الكريمة إن كل من تسمى بالإيمان يكون متأسيا بالرسول صلى الله عليه وآله ، وإنما ذكرت صفات معينة للذين يتخذونه قدوة ، وهذه الصفات المعينة تنطبق على من كان فيه الإيمان حقيقة لا ظاهرا فقط ، إن المؤمن الظاهري لا يكون متخذا رسول الله صلى الله عليه وآله قدوة ، وإنما الذي يكون مؤمنا في واقعه وبحسب باطنه هو الذي يتأسى به ، فمن وصل إلى حقيقة الإيمان هو الذي يتأسى به صلى الله عليه وآله .

ولقد ذكرت الآية الكريمة ثلاث صفات للمؤمن الحقيقي الذي

يتبع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذه الصفات هي :

(١) النجم : ٣ - ٥ .

١- من يرجو الله تعالى .

٢- من يرجو اليوم الآخر .

٣- من يذكر الله كثيرا .

ثالثا : ما معنى أن المؤمن الحقيقي يرجو الله تعالى ؟

إن من يرجو الله تعالى هو من يتعلّق قلبه بالله فيؤمن به ، وهذا الإيمان ليس أمرا ظاهريا فقط ، بل هو أمر قلبي باطني ، وهذا التعلق القلبي بالله يدعو إلى العمل ، وهذا العمل يكون منطلقه التأسّي برسول الله صلى الله عليه وآله ، فالمؤمن الحقيقي هو الذي يرجو الله ويؤمن بالله عز وجل ، ويقول الله تعالى له :

﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) .

إن المؤمن يكون مطيعا لله تعالى فيأخذ ما يأتي به الرسول صلى الله عليه وآله ويترك ما ينهى عنه ، وهذا يعني أنه يتّخذ قدوة ، ومثل هذا المؤمن الذي يأخذ أوامر الرسول صلى الله عليه وآله ويترك نواهيه هو المؤمن الحقيقي ، هو الذي يرجو رحمة الله

(١) الحشر : ٧ .

الرسول صلى الله عليه وآله أسوة حسنة ٤١

تعالى لأن رجاءه قائم على العمل ، ويرجو ثواب الله عز وجل لأنه أدى ما يطلبه الله تعالى منه ، وما يطلبه الله تعالى منه يكون عن طريق رسوله صلى الله عليه وآله ، فالرسول هو الوسيلة إلى الله تعالى .

إذن : المؤمن الذي يرجو الله هو الذي يتعلّق قلبه بالله تعالى ، ونتيجة هذا التعلّق هو التأسّي برسول الله صلى الله عليه وآله أي يفعل الأوامر ويترك النواهي .

رابعا : ما معنى أن المؤمن الحقيقي يرجو الآخرة ؟

إن من يرجو الآخرة هو من يرجو أن يدخل الجنة ، ومن يرجو أن يدخل الجنة لا بدّ أن يكون قد عمل في الدنيا بما آتاه الرسول صلى الله عليه وآله وابتعد عما نهاه عنه أي اتخذ الرسول قدوة له ، ومثل هذا المؤمن الحقيقي هو الذي يرجو أن يلقي الله ورحمته وثوابه يوم القيامة ، يقول الله تعالى :

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١) .

ويقول تعالى :

(١) الكهف : ١١٠ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١﴾ .

إن من يرجو الآخرة فإن هذه الحياة الدنيا وما فيها من شهوات ورغبات كلها ليس لها قيمة ، فالمؤمن الحقيقي يكون إنساناً أخروياً ويكون نظره إلى الآخرة ويأخذ من الدنيا بما ينفعه في الآخرة ، فتكون بذلك كل أعماله خالصة لوجه الله تعالى حتى الأعمال الصغيرة التي يؤديها تكون موجهة لله عز وجل .

إذن : من يرجو الآخرة يعيش في هذه الدنيا ولكن قلبه يكون متعلقاً بالله عز وجل وبالملا الأعلى .

خامساً : ما معنى أن المؤمن الحقيقي يذكر الله كثيراً ؟

إن ذكر الله تعالى لا يكون باللسان فقط ، فالذكر اللساني هو نوع من الذكر ، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال : " وكان أبي عليه السلام كثير الذكر ، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله ، وأكل معه الطعام وإنه ليذكر الله ، ولقد كان يحدث

(١) يونس : ٧ - ٩ .

الرسول صلى الله عليه وآله أسوة حسنة ٤٣

القوم [و] ما يشغله ذلك عن ذكر الله ، وكنت أرى لسانه لازقا
بحنكه يقول : لا إله إلا الله " (١) .

إن هذا الذكر اللساني لا يكون لقلقة لسان فقط ، بل يكون
منطلقا من القلب ، فإذا كان القلب ذاكرة لله فإن النتيجة
الطبيعية هي أن اللسان يكون ذاكرة لله أيضا ، ولكن العكس ليس
صحيحا ، فليس كل من ذكر الله باللسان يكون ذاكرة لله حقيقة ،
فكم من شخص يقول : " لا إله إلا الله " ؛ وهو في نفس الوقت
يشرك بعبادة ربه حينما يطيع شهواته ورغباته النفسية ، يقول
الله تعالى :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (٢) .

إن الإيمان يكون فيه شرك ، فالإيمان يجتمع مع الشرك ،
وهذا الشرك شرك طاعة لا شرك عبادة كما في رواية عن الإمام
الباقر عليه السلام (٣) ، فالإنسان عندما يطيع شهواته فإنه يكون
قد اتخذها إلها له ، وبذلك يكون مشركا بالله شرك طاعة لأنه
يطيع الشيطان والشهوات .

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٩٨ ح ١ .

(٢) يوسف : ١٠٦ .

(٣) البحار ج ٩ ص ٢١٤ ح ٩٣ .

إن الذاكر لله حقيقة هو الذي يتذكر الله تعالى عند كل فعل يريد أن يفعله ، فإن كان واجبا فعله ، وإن كان حراما تركه ، وهذا هو الذكر الحقيقي المنطلق من القلب ، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في معنى ذكر الله أنه قال :

" أما إنني لا أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وإن كان منه (أي أن هذا الذكر اللساني نوع من الذكر) ، ولكن ذكّر الله عند ما أحلّ له وذكّر الله عند ما حرّم عليه " (١) .

إن الذكر الفعلي هو الذكر الحقيقي ، نعم الذكر اللساني نوع من الذكر ، ولكن الذكر الحقيقي يكون عند الفعل عندما يريد أن يفعل شيئا فيتذكر الله فيُقدّم على هذا الفعل إذا كان فيه رضا الله أو يقف إذا كان فيه غضب الله ، إن المؤمن الحقيقي هو الذي يذكر الله قولاً وفعلاً ويحاول أن لا يغفل عن ذكر ربه طرفة عين ، فالمؤمن الحقيقي هو الذي يعيش إيمانه في كل لحظة يحيها وفي كل خطوة يخطوها ، بل في كل فكرة تخطر في ذهنه ، فهو لا فقط يبتعد عن المحرمات ، بل أكثر من ذلك فهو لا يفكر في فعل المحرمات ، فكما أن أعماله صالحة كذلك فإن أفكاره ونيّته

(١) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٣٥ ح ٣٠ .

صالحة ، ويصف الله تعالى الذاكرين له بأنهم أولو الألباب وهم العقلاء ، فالذاكرون لله هم العقلاء حسب الآية الكريمة ، يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) .

ويقول تعالى عن الغافلين : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (٢) .

إن الذي يغفل عن ذكر الله يصير متبعاً لهواه ولشهواته لأنه عندما يريد القيام بأي عمل فإنه يغفل عن أوامر الله ونواهيه ، بل قد يكون عالماً بالأوامر والنواهي ومع ذلك لا يعمل بها لأنه لا يذكر الله عز وجل عندما يريد أن يؤدي العمل ، بل يتبع ما تمليه عليه رغباته الخاصة فيكون عابداً لشهوته ورغباته .

(١) آل عمران : ١٩٠ - ١٩١ .

(٢) الكهف : ٢٨ .

سادسا : كيف يكون التأسّي بالرسول صلى الله عليه وآله ؟

إن التأسّي به صلى الله عليه وآله يعني اتخاذه قدوة في كل ما تريد أن تقولوه وتفعله ، ويمكن معرفة أقواله وأفعاله صلى الله عليه وآله عن طريق الرجوع إلى الآيات الكريمة والروايات الشريفة ، ولكن لا يمكن لكل أحد أن يستنبط الأحكام الشرعية من الآيات والروايات ، بل لا بد من الرجوع إلى أهل الاختصاص في الحوزات العلمية ، فكل مؤمن يرجع إلى مرجعه في التقليد أو إلى من ينقل عنهم ، فيجب الرجوع إلى المرجعية الصالحة والعلماء الصالحين في القضايا الشرعية ، ولا يعتمد الإنسان على نفسه في فهم واستنباط الأمور الشرعية من الكتاب الكريم والسنة الشريفة لأن للاستنباط أصولا وقواعد ، وهذه الأصول والقواعد لا يمكن لكل أحد أن يعرفها إلا بعد الدراسة ، وهذه الدراسة تكون في الحوزات العلمية ، لذلك تأتي أهمية الحوزات العلمية وأهمية بقائها واستمرارها ، فالحوزة العلمية معلم من معالم مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وهذا المعلم سيبقى إلى ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، فلا بد من الرجوع في أمورنا الشرعية إلى المختصين بها في الحوزات العلمية ، والدين الإسلامي لا يمكن الحفاظ عليه إلا عن طريق الحوزات ، ويخطيء

الرسول صلى الله عليه وآله أسوة حسنة ٤٧
من يقول إننا لسنا بحاجة إلى الحوزات وإلى العلماء المتخرجين
منها ، وهذا كمن يقول إننا لسنا بحاجة إلى كليات الطب ولا إلى
الأطباء المتخرجين منها .

إن المؤمن الحقيقي هو الذي يأخذ دينه من الله عز وجل عن
طريق الرسول صلى الله عليه وآله وعن طريق الأئمة عليهم
السلام ، وفي عصر الغيبة الكبرى عن طريق العلماء الصالحين
الذين هم وكلاء ونواب عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه
وسهل مخرجه .

إذن : المؤمن يرجع إلى من يُقَلِّده في أخذ المسائل الشرعية ،
ولا قيمة لرأي الإنسان الشخصي ولا لتشخيصه ولا لقوله إن هذا
هو تكليفي الشرعي إذا لم يكن مُدْعَمًا بفتوى مرجع التقليد ، فلا
يجوز للشخص أن يقول إن هذا حلال وهذا حرام وهذا تكليفي
الشرعي وهذا تشخيصي إلا بعد الرجوع إلى المرجعية ، فهو يرجع
إلى مرجع التقليد ليأخذ الحلية والحرمة والوجوب والاستحباب
والكراهة ، ففي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال : " من
أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة
العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه " (١) .

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ١١٨ ح ٢٣ .

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام قال : " من أفتى الناس برأيه فقد دان بما لا يعلم ، ومن دان بما لا يعلم فقد ضادَّ الله حيث أحلَّ وحرمَّ فيما لا يعلم " (١) .

إن المؤمن في تحركه إلى الله عز وجل يحتاج إلى العلم الذي يعطيه بصيرة في اتجاهه إليه تعالى ، وهو يأخذ علمه من المرجعية الصالحة والعلماء الصالحين ولا يأخذه من رأيه الشخصي الخاص ولا ممن ليس عنده علم بالأمر الشرعية ؛ لأن الجاهل لا يملك البصيرة في تحركه فكيف يريد أن يوضح الطريق لغيره ؟ !

الخلاصة :

الأسوة معناها القدوة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله هو قدوة المؤمن ، وليس كل من تسمى بالإيمان يكون متأسياً برسول الله صلى الله عليه وآله ، بل الذي يكون فيه ثلاث صفات ، الصفة الأولى أنه يرجو الله عز وجل ، والصفة الثانية أنه يرجو اليوم الآخر ، والصفة الثالثة أنه يذكر الله كثيرا ، ومعنى يرجو الله أن قلبه متعلق بالله عز وجل ، ومعنى يرجو اليوم الآخر أن قلبه متعلق بالآخرة ومتخلُّ عن الحياة الدنيا وما فيها ، ومعنى

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٩٩ ح ٢٥ .

الرسول صلى الله عليه وآله أسوة حسنة ٤٩

يذكر الله كثيرا أنه لا يفضل عن ذكر الله تعالى في تحركه وأعماله ، ونتيجة هذه الصفات الثلاث هي العمل المبني على العلم الذي يأخذه المؤمن من العلماء الصالحين .

فلنسع جميعا لأن نكون ممن يتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله قدوة في حياتنا الدنيا حتى يشفع لنا في الآخرة .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

* شجرة الإيمان وشجرة الكفر *

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم
محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .
قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ أَلَمْ نَرَكُفَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ
اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ
خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ (١) .

مقدمة :

في البداية أسأل هذا السؤال : ما معنى قولنا إن هذا الإنسان

مؤمن ؟

* ألقى هذا الموضوع في خطبة الجمعة في منطقة مبارك الكبير بتاريخ
٩ جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ الموافق ٢٠ / ٨ / ١٩٩٩ م .
(١) إبراهيم : ٢٤ - ٢٦ .

شجرة الإيمان وشجرة الكفر ٥١

ومن هذا السؤال تأتي عدة أسئلة إلى أذهاننا ، منها : ما معنى الإيمان ؟ وكيف يكون الإيمان ؟ وبم يؤمن هذا المؤمن ؟ وما هي معالم وعلامات الإيمان ؟ وماذا يترتب على الإيمان ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة التي تتفرّع على قولنا : " إن هذا الإنسان مؤمن " .

الإيمان مترابط الأجزاء :

إن الإيمان بالله تعالى كلُّ مترابط لا يتجزأ ، فالمؤمن الحقيقي هو الذي ينصاع وينقاد إلى طاعة الله في كل ما يريده الله تعالى ، فإن أمره الله بشيء أخذ به ، وإن نهاه عن شيء تركه ، فهو يطيع الله تعالى في كل أوامره ويتعد عن كل نواهيه ، وهذا تعبير مختصر عن الإنسان المؤمن ، ولكن يحتاج إلى تفصيل .

حقيقة الإيمان :

إن الإيمان في واقعه ليس عبارة عن الأعمال الخارجية التي يؤديها الإنسان ، فالإنسان يصلي ويصوم ويؤتي مئلاً ، فهل هذا هو معنى الإيمان أو أن للإيمان معنى آخر ؟

إن حقيقة الإيمان تكون في القلب ، فالإيمان أمر قلبي نفسي باطني داخلي ، والأعمال الخارجية تكون مترتبة على هذا الأمر النفسي المنطلق من أعماق القلب ، فالمؤمن يكون قلبه أولاً مؤمناً

بالله تعالى ثم ثانيا تأتي هذه الأعمال الخارجية كثمار لهذا الإيمان القلبي ، يقول تعالى :

﴿ وَكَانَ اللَّهُ حَبِيبَ إِلَيْكُمْ إِيمَانُ وَرَيْتَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (١) .

إذن : الإيمان موطنه القلب ، والأعمال الخارجية تكون مترتبة على الإيمان القلبي ومعبرة عنه .

تشبيه الإيمان بالشجرة :

بما أن الأعمال الخارجية تكون ثمارا للإيمان لذلك يمكن تشبيه الإيمان بالشجرة ، ولنطلق عليها شجرة الإيمان أو الشجرة الإيمانية .

ملاحظة هامة :

إن تشبيه الأمر المعنوي بأمر مادي - أو كما يقال تشبيه الأمر المعقول بأمر حسي - بسبب وجود وجه للشبه بينهما إنما هو من أجل تقريب صورة الإيمان إلى ذهن السامع لأن تصوّر الأمور المادية سهل على الذهن ، والقرآن الكريم أتبع هذا الأسلوب حيث يشبه الشيء المعنوي بشيء مادي موجود يعرفه السامع أو القارئ حتى يجسّد الشيء المعنوي فيمكن تصوّره من قبّل من يسمع أو

(١) الحجرات : ٧ .

يقرأ القرآن الكريم .

إذن : عندنا شجرة هي شجرة الإيمان في مقابل شجرة الكفر .

لنرجع مرة أخرى إلى الآية الكريمة التي قرأتها في أول الموضوع وهي :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ .

نطلق على هذه الشجرة شجرة الإيمان التي نأخذها من التشبيه في قوله تعالى " كشجرة طيبة " ، وفي مقابل هذه الشجرة توجد شجرة أخرى هي شجرة الكفر ، ونأخذها من التشبيه في قوله تعالى " كشجرة خبيثة " ، ولكل من الشجرتين فروع وثمار إما حقيقية وإما وهمية .

يقول السيد العلامة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه في تفسيره الميزان : " إن الشجرة الطيبة هي الاعتقاد الحق الثابت أو شجرة التوحيد ، والقول بالوحدانية والاستقامة عليه هو حق القول

الذي له أصل ثابت محفوظ عن كل تغيير وزوال وبطلان وهو الله عز اسمه ، وله فروع من عقائد حقّة وأخلاق زاكية وأعمال صالحة " (١) .

إذن : هذه الشجرة يسميها العلامة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه شجرة التوحيد ، ويمكن أن نطلق عليها شجرة الإيمان بالله تعالى ، وهذه الشجرة لها أصل ثابت وهو الله عز وجل ، ولها فروع تمتد إلى السماء وتصعد بالإنسان إلى الأعلى نحو الكمال ، وهذه الفروع لها ثمار هي ثمار الإيمان من العقائد الصحيحة والأخلاق الزاكية والأعمال الصالحة .

إن دور المؤمن أن يعرف هذه الثمار الصالحة حتى يقتطفها ويأخذها ويأكل منها ويجسد آثار الإيمان في حياته ، وبدون الأخذ من ثمار الإيمان لا يمكن للإنسان أن يدعي أنه مؤمن بالله تعالى ومؤمن بهذه الشجرة الإيمانية .

شجرة الكفر :

وفي مقابل هذه الشجرة توجد شجرة أخرى هي شجرة الكفر التي تجمع كل رأي وكل مذهب وكل خط وكل مدرسة وكل فكر

(١) تفسير الميزان ج ١٢ ص ٥١ .

يعارض الإيمان ويحاربه ويعمل ضده ، وهذه الشجرة ليس لها قرار واستقرار ، بل هي شجرة مقطوعة ليس لها أصل ولا لها فروع ، ولها ثمار ولكنها ثمار وهمية خيالية يتوهم الإنسان أنها ثمار ، ولكنها في الواقع سراب يصل إليه الإنسان فيجده لا شيء ، يقول الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فُوقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١) .

إن أعمال الكافرين كلها سراب ، يظنون أنهم وصلوا إلى شيء ، ولكن هذه الأعمال في الواقع كلها لا شيء ، فيأتون يوم القيامة ويجدون أن أعمالهم كلها سراب ، فهي عبارة عن أوهام كانوا يعيشونها ، والأوهام لا تنتج إلا وهما ، أما الإنسان المؤمن الذي يأخذ بشجرة الإيمان فإنه يأخذ ثمارا حقيقية واقعية .

ثمار شجرة الإيمان :

إن من يكون الإيمان راسخا وثابتا في قلبه فإن أعماله تكون صالحة لأنها منطلقة من إيمانه ، ولا يمكن أن يُتَوَقَّعَ من الإنسان

(١) النور : ٣٩ .

٥٦ شجرة الإيمان وشجرة الكفر

المؤمن أن يأتي بأعمال فاسدة ، بل لا يُتَوَقَّعُ منه إلا الأعمال الصالحة التي هي ثمار شجرة الإيمان ، ولا يتوقع منه الأعمال الطالحة التي هي ثمار شجرة الكفر ، لذلك تأتي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام في صفات المتقين قال : " **الخير منه مأمول والشر منه مأمون** " ^(١) .

فالمؤمن لا يُتَوَقَّعُ منه الشرُّ ، فكل أعماله تكون أعمال خير وصلاح ، وفي رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال : " **فالمؤمن من يتقلَّب في خمسة من النور : مدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور وكلامه نور ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور** " ^(٢) .

بل أكثر من ذلك نستطيع أن نقول إن المؤمن الحقيقي حياته كلها نور لأنها تكون في سبيل الله عز وجل ، وعمله كله لله ، فبدايته نور ونهايته نور حيث سينتهي إلى الجنة لأن الجنة الأخروية هي انعكاس وتجسيد للحياة الدنيوية لهذا المؤمن ، فالجنة التي يحصل عليها المؤمن هي في واقعها نتيجة للحياة الدنيوية التي عاشها ، فحياته وأعماله تتجسّد هناك ، فدخله إلى الجنة نتيجة طبيعية لحياته الدنيوية .

^(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٠ ص ١٤٨ باب ١٨٦ .

^(٢) بحار الأنوار ج ٤ ص ١٧ ح ٥ .

إذن : هذه الشجرة الإيمانية التي هي شجرة الله يجب على المؤمن أن يعرفها ، وأن يسعى إلى تجسيد ثمارها في حياته ، ولا يكون الإنسان مؤمنا إلا أن يعتقد بهذه الشجرة الإيمانية وبثمارها التي تعطي الأعمال الصالحة في كل حين بإذن ربها لأن هذه الشجرة هي شجرة الله عز وجل ، ولا يأتي من الله إلا كل ما هو خير وصالح ، ولا يمكن أن نتوقع أن تثمر هذه الشجرة الإيمانية الأعمال الفاسدة والانحرافات المختلفة .

دور المؤمن تجاه شجرة الإيمان :

وبعد ذلك يأتي دورنا بعد أن عرفنا بوجود شجرة تسمى بالشجرة الإيمانية وأن هذه الشجرة لها فروع وثمار، فما هو دورنا تجاه هذه الشجرة ؟

إن من يقول إنه مؤمن عليه أن يراجع نفسه ليرى هل توجد هذه الشجرة الإيمانية عنده أم لا ؟ وهل يعتقد بها اعتقادا راسخا أم لا ؟ وهل هو مقتنع بها افتناعا تاما ؟ وهل أعماله كلها وحياته كلها وخطواته كلها وأفكاره كلها قائمة على أساس هذه الشجرة أم أن الشجرة التي يعتقد بها في الواقع لا ثمار لها ولا جذور لها لعدم تمكن الإيمان من قلبه ؟ ، فيراجع نفسه ليرى هل حياته قائمة على أساس شجرة الإيمان أم على أساس شجرة الكفر أم

على أساس خليط من الشجرتين ؟

إن المؤمن قد يعتقد ببعض الاعتقادات التي تكون في واقعها عقائد من شجرة الكفر ، فيخلط بين الشجرتين وهو يدعي أنه مؤمن ، إن المؤمن الحقيقي هو الذي يعتقد بكل شجرة الإيمان ولا يخلط بين الشجرتين ، فإذا أخذ من الشجرتين فيكون من مصاديق قوله تعالى :

﴿ أَتَقُولُونَ بِغُضِّ الْكِتَابِ وَكُفْرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (٢) .

إذن : من يريد أن يكون مؤمناً حقيقياً يجب عليه أن يتمسك بشجرة الإيمان ويأخذ ثمارها ويترك الثمار الوهميّة لشجرة الكفر ، وأوّل ما يجب عليه فعله هو معرفة هاتين الشجرتين وثمارهما ، ثم يأخذ بالثمرة إن كانت من ثمار شجرة الإيمان ، ويتركها إن كانت من ثمار شجرة الكفر .

(١) البقرة : ٨٥ .

(٢) يوسف : ١٠٦ .

سؤال : كيف لنا أن نعرف ثمار شجرة الإيمان ؟

إن الجواب واضح وهو أنه يمكن أن نعرف ثمار شجرة الإيمان من القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فالقرآن الكريم يبين لنا ثمار شجرة الإيمان ، وكذلك روايات أهل البيت عليهم السلام ، فعلى المؤمن أن يسعى إلى معرفة الكتاب والسنة معرفة تفصيلية لا مجرد أفكار عامة مجملة ضبابية غير واضحة حتى يعرف الطريق الذي يريد أن يسلكه ويكون سائرا على صراط الله المستقيم ، هذا الصراط المتمثل برسول الله صلى الله عليه وآله وبأهل بيته عليهم السلام .

إذن : لمعرفة ثمار شجرة الإيمان لا بد من الرجوع إلى الكتاب الكريم والسنة الشريفة .

وقد تسأل بعض المؤمنين : هل تؤمن بشجرة الإيمان ؟

فيقول : نعم .

فتسأله : هل تقرأ القرآن ؟

فيقول : لا .

وتسأله : هل عندك اطلاع على روايات أهل البيت عليهم

السلام ؟

فيقول : لا .

وهذه المشكلة نعيشها الآن وهي عدم قراءة المؤمنين للقرآن الكريم قراءة تَدبُّر ، وعدم اطلاعهم على روايات أهل البيت عليهم السلام اطلاع تَفكُّر ، بل عدم القراءة أصلاً إلا قراءة العناوين الرئيسة في الجرائد ، وهذا لا يعطي علماً للمؤمن ، والمفروض أن المؤمن يخصَّص جزءاً من وقته للاطلاع على دينه ولمعرفة معالم إيمانه ، ومع الأسف أن هذا الأمر مفقود عند الإخوة الأعزاء .

الخلاصة :

الإيمان بالله تعالى كُلُّ مترابط لا يتجزأ ، ويمكن تشبيه الإيمان بالشجرة التي يكون أساسها الله عز وجل ، وتتفرع عليه العقائد الحقّة والأخلاق الزاكية والأعمال الصّالحة ، وفي مقابل هذه الشجرة توجد شجرة الكفر التي تكون منبع العقائد الباطلة والأخلاق المنحرفة والأعمال الطالحة ، وعلى المؤمن أن يسعى لمعرفة هاتين الشجرتين ومعرفة ثمارهما ليأخذ بالثمار الحقيقية للشجرة الإيمانية الخالصة ويترك الثمار الوهمية لشجرة الكفر ، ولا يخلط بين ثمار هاتين الشجرتين في حياته حتى يكون فعلاً مؤمناً حقيقياً ويعيش الإيمان الحقيقي ، ولا يكون الإيمان لَعَقاً على لسانه ، بل تكون حياته قائمة على أساس الإيمان ، وبذلك

شجرة الإيمان وشجرة الكفر ٦١

يكون مؤمنا حق الإيمان ، وتكون أقواله متناسبة مع أفعاله وعقائده ، فلا يكفي أن يقول الشخص : " إني أعتقد بهذا الشيء " ، ثم لا يأخذ بالأعمال التي تترتب على هذا الاعتقاد ، فإذا لم يلتزم بما يترتب عليه في الواقع لا يوجد أصلا اعتقاد عنده بهذا الشيء أو أن اعتقاده ضعيف يزول بسرعة مع أقل هبة ريح ، وحياة الناس الآن قائمة على خليط من الشجرتين ، فيجب علينا جميعا أن نراجع أفكارنا حتى نرى هل هي نتاج خالص من شجرة الإيمان أو أن كثيرا منها هي نتاج شجرة الكفر دون أن نشعر بذلك ؟

وقد نكتشف أن كثيرا من العقائد والأقوال والأعمال التي نقوم بها هي من ثمار شجرة الكفر ونحن غير ملتفتين إلى ذلك .
وقفنا الله تعالى وإياكم إلى العمل بما يريد الله عز وجل من الأعمال الصالحة وأن نعلم بثمار شجرة الإيمان وأن نعمل بها ونجسدها في حياتنا العملية ، فالعلم أولا ثم العمل بتطبيق هذا العلم على حياتنا حتى تكون حياتنا الدنيوية قائمة على أساس شجرة الإيمان وشجرة التوحيد ، وبذلك نكون فعلا من المؤمنين ، وتكون أقوالنا متوافقة مع أعمالنا ، وتكون أعمالنا متوافقة مع أقوالنا وعقائدنا ، ولا تكون حياتنا خليطا من ثمار الشجرتين ،

٦٢ شجرة الإيمان وشجرة الكفر

فلا نكون من المؤمنين الصالحين المخلصين ، ومن لا يكون مؤمنا
خالصا فهو ليس بمؤمن بل يكون مشركا بالله عز وجل شرك
طاعة دون أن يدرك ذلك .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم
محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الارتباط بين حبّ الله واتباع الرّسول صلّى الله عليه وآله

* القسم الأول

الحمد لله رب العالمين وصى الله على سيدنا أبي القاسم
محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .
مقدمة :

ما زلنا نتحدث في جوانب الإيمان ، وفي البداية أسأل بعض
الأسئلة تمهيدا لهذا الموضوع : هل نحن فعلا نحب الله عز
وجل ؟ وهل نحن فعلا مُتَّبِعُونَ لرسول الله صلى الله عليه وآله ؟
وهل يحبُّنا الله عز وجل ؟

* ألقى هذا الموضوع في خطبة الجمعة في منطقة مبارك الكبير بتاريخ
٢٤ ربيع الثاني ١٤٢٠ هـ الموافق ٦ / ٨ / ١٩٩٩ م .
(١) آل عمران : ٣١ .

مثال :

أبدأ الحديث بمثال واقعي من حياتنا ، ومن خلال هذا المثال أدخل إلى صلب الموضوع ، لنعط أربع قسائم لأربعة أشخاص من اتجاهات مختلفة : مسلم ومسيحي ويهودي وكافر ، ونطلب من كل واحد منهم أن يبني قسيمته وأن يفرشها بالأثاث ، وبعد ذلك ندخل إلى هذه البيوت الأربعة فماذا نشاهد ؟

نرى أن البيوت الأربعة متشابهة في طريقة وكيفية البناء وفي الفرش والأثاث مع أنهم من أديان ومذاهب مختلفة ، فالأول يقول إني مسلم شيعي وموالم لأهل البيت عليهم السلام ، أو إني مسلم على نهج أهل السنة ، والثاني يقول إني مسيحي أوؤمن بالمسيح عليه السلام ، والثالث يقول إني يهودي أوؤمن بموسى عليه السلام ، والرابع يقول إني كافر لا أوؤمن بوجود الله ولا بالأنبياء ولا بالمعاد ويوم القيامة .

نأتي إلى الشخص الذي يقول إنه مسلم شيعي ، وسيكون كلامي معه فأسأله : هل تحب الله عز وجل ؟

فيقول : نعم .

وأسأله : هل تحب رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فيجيب : نعم .

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الأول ٦٥

وأسأله : هل تحب أهل البيت عليهم السلام ؟

فيقول : نعم .

وسيضيف قائلاً : إن سؤالك غريب ، فكيف تسألني هذا السؤال

وأنت تعلم أنني شيعي ؟

ما هي المحبة ؟

إن المحبة القلبية لأي شيء من الأشياء هي مجرد عاطفة ،
فالإنسان إذا أحب شيئاً فإن هذا الحب يبقى في حيز العاطفة ،
ولكن الشيء الطبيعي أن الإنسان إذا أحب شيئاً فإنه يتجه إليه
ويحاول الحصول عليه .

مثلاً : إذا أحب طعاماً معيناً فإنه يسعى إلى طبخه والالتذاذ
بأكله أو يذهب إلى المطعم ، ويعطونه قائمة الطعام فيختار الطعام
الذي يحبه ، وصديقه الذي معه يطلب طعاماً آخر ، وذلك لأن
كلا منهما يحاول الحصول على ما يحب .

ومن عادة الإنسان أنه يسعى للحصول على ما يحب ويشتهي ،
وبدون هذا السعي يظل هذا الحب في نطاق القلب ولا ينتج ثمرة
عملية خارجية ، وهذا الحب الذي يظل في القلب فقط تكون مثل
الشجرة الجافة التي لا تثمر ، وهذا الحب يثمر إذا انتقل من
القلب وتجسّد في الخارج ، مثل هذا الشخص يقال عنه إنه فعلاً

يحبّ هذا الطعام بعد أن جسّده في الخارج .

النتيجة :

إن الحب الذي يظل في نطاق القلب في الواقع هو حب زائف لا حقيقي ، فوجود هذا الحب كعدمه ، فالحب الحقيقي هو الذي يعطي ثمارا خارجية وينتج حركة خارجية مبنية على أساس هذا الحب .

حب المؤمن لله تعالى :

نأتي إلى الآية السابقة : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ .

إن الحب الحقيقي لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام كيف يكون حبا حقيقيا حيث إننا ندعي أننا نحب الله ورسوله وأهل بيته سلام الله عليهم أجمعين ؟ في الآية الكريمة توجد جملة شرطية هي ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ ، فعل الشرط هو ﴿ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ ، وجزاء الشرط وجوابه هو ﴿ اتَّبِعُونِي ﴾ ، فالشرط هو محبة الله تعالى ، والجزاء المترتب عليه هو اتباع الرسول صلى الله عليه وآله ، فالمعنى هو : إذا كنتم تحبون الله عز وجل فيجب عليكم اتباع

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الأول ٦٧

رسوله صلى الله عليه وآله ، ونفهم من الجملة الشرطية أنه إذا لم تَتَّبِعُوا الرسول صلى الله عليه وآله فأنتم في الواقع لا تحبّون الله عز وجل .

إذن : حبّ الله إذا كان حبًّا حقيقيًّا فلا بدّ أن ينتج ثمرة خارجية ، وهي اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله .

ونأتي إلى تنمة الآية الكريمة : ﴿ أَتَعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ، ﴿ أَتَعُونِي ﴾ فعل أمر ، و ﴿ يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ جواب الأمر ، فيكون المعنى هو : إذا أتبعتم رسول الله فإن الله يحبكم ، فتوجد هنا نتيجة مترتبة على نتيجة الجملة الشرطية ، تحب الله وحبك لله تعالى ينتج اتباع رسوله صلى الله عليه وآله ، واتباع الرسول صلى الله عليه وآله ينتج حب الله لك ومبادلة الحب بحب ، وحب الله لك معناه حصولك على رضاه عز وجل ، وإذا حصل الإنسان على رضا الله فإنه يحصل على ثوابه ، ونتيجة ذلك الدخول إلى جنات الله الواسعة التي تجري من تحتها الأنهار .

فإذا قال الشخص " أنا أحب الله " فعليه أن لا يتوقع بالمقابل أن الله يحبه مباشرة ، فلا يستطيع أن ينتقل مباشرة من حبه لله إلى حب الله له ، بل توجد خطوة وسطى هي اتباع الرسول صلى الله عليه وآله ، فمن يحبّ الله فلا بدّ أن يتّبع رسوله ، ومن يتّبع

٦٨ الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الأول

الرسول فإن الله يحبه ويبادله محبة بمحبة ، وهذا هو الحب الحقيقي .

وأما الحب الزائف فهو أن يدعي الشخص أنه يحب الله تعالى ويحب الرسول صلى الله عليه وآله ويحب أهل البيت عليهم السلام ولكن تصرفاته الخارجية لا تدل على هذا الحب ، فهذا حب زائف ادعائي فقط لا واقع له ولا ينتج نتائج وثمارا خارجية ، بل يظل في نطاق القلب ولقلقة على اللسان ويكون مجرد ادعاء ، والحب الادعائي لا ينتج محبة الله تعالى ولا محبة رسوله صلى الله عليه وآله ولا محبة أهل بيته عليهم السلام ولا محبة صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ولا يجعل المدعي من أنصاره وشيعته والمقاتلين تحت لوائه والمستشهرين بين يديه .

إذن : إذا أردنا أن نحصل على محبة الله عز وجل وعلى محبة رسوله صلى الله عليه وآله وعلى محبة أهل البيت عليهم السلام وعلى محبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فلا بد أن نكون متبعين لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وبدون هذا الاتباع نحن في الواقع لا نحبهم وإنما ندعي أننا نحبهم .

والآن أتوجه بهذا السؤال : أيها الشيعي الذي تقول إنك من أتباع أهل البيت عليهم السلام هل فعلا تحب الله عز وجل وتحب

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الأول ٦٩

رسوله وأهل بيته حتى يبادلون حبك بحب ؟ هل أنت فعلاً متَّبِع
لرسول الله صلى الله عليه وآله ؟ وهل الإنسان يدخل الجنة
بالحب الزائف الذي لا قيمة له ؟

إذن : لا بدّ أن نسأل أنفسنا الأسئلة التالية : ماذا يريد منا
الله عز وجل ؟ وماذا يريد منا رسول الله صلى الله عليه وآله ؟
وماذا يريد منا أهل البيت عليهم السلام ؟ هل نحن فعلاً أتباع أو
مدَّعون للحب ؟ وماذا ينتج الحب بدون اتباع ؟

فلا بدّ أولاً أن نعرف ماذا يريدون ممَّا ثم نطبِّق ما يريدون ،
وبعد ذلك نستطيع أن نقول إننا أتباع ومحبُّون لله تعالى ولرسوله
صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام .

يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) .

ويقول تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا
يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٢) .

إن من يرجو لقاء الله لا بدّ أن يعمل أعمالاً صالحة خالصة

(١) الأحزاب : ٢١ .

(٢) الكهف : ١١٠ .

لله تعالى ولا يشرك بعبادة الله أحدا ، ولا يقصد بالعبادة الصلاة والصيام والحج فقط ، وإنما العبادة تكون في كل أمر يؤدّيه الإنسان متقرباً بها إلى الله عز وجل ، وتوجد آيات كثيرة في القرآن الكريم يظهر منها أن الإيمان لوحده لا يدخل الجنة ، فالإيمان الذي يظل في نطاق القلب فقط لا يدخل الجنة ، بل لا بدّ معه من العمل الصالح ، فكثير من الآيات تقول : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ، منها :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَنْزَالٌ مُطَهَّرٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ (١) .
﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ (٢) .

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ بِهِ مُشَابِهَاتٌ وَلَهُمْ فِيهَا أَنْزَالٌ مُطَهَّرٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣) .

(١) النساء : ٥٧ .

(٢) الجاثية : ٣٠ .

(٣) البقرة : ٢٥ .

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الأول ٧١

قد يقال : يقول كثير من الناس إن الإيمان في القلب ، فمثلا المرأة السافرة تقول : " نعم أنا لا ألبس الحجاب ، ولكن يكفي أن الإيمان موجود في قلبي " .

الجواب : أقول لهم إذا كان الإيمان موجودا في القلب فلا بدّ أن ينتج ثمارا خارجية ، وبدون الثمار الخارجية في الواقع لا يوجد إيمان في القلب ، فالمرأة السافرة إذا كان يوجد إيمان في قلبها فالمفروض أن تكون متحجّبة وإلا فلا إيمان في قلبها ، لو كانت تؤمن بالله لأخذت بأوامر الله ، ومن أوامر الله الحجاب ، وسأتحدث إن شاء الله تعالى في موضوع مستقل عن معنى الحجاب الإيماني ، فهل الحجاب المطلوب هو قطعة قماش على الرأس فقط أو أنه أكثر من ذلك ؟

إذن : الإيمان بدون العمل الصالح لا يُدخل الجنة ، ولا يمكن للإنسان أن يطمع في دخول الجنة بدون العمل الصالح ، فإذا كان يوجد في القلب إيمان حقيقي فإن هذه الثمار والأعمال الخارجية تكون نتيجة طبيعية لهذا الإيمان بلا تصنّع أو تكلف ، وبدون الثمار الخارجية لا يوجد إيمان في القلب أصلا ، فالمرأة السافرة لو كان يوجد في قلبها إيمان بالله تعالى لتحجّبت لأن الحجاب ثمرة من ثمار الإيمان ، والمؤمن يُقبل على هذه الأعمال بسهولة

ويسر لأنه يؤمن بالله عز وجل .

إن حبّ المؤمن لرسول الله صلى الله عليه وآله يجعله يتخذ رسول الله قدوة وأسوة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله هو أفضل مُجَسَّد للإسلام ، فهو صلوات الله عليه وآله كان يقوم بأعمال كثيرة ويتكلم بأقوال كثيرة ، فلا بدّ أن نقتدي به صلى الله عليه وآله بكل أعماله وأقواله .

إن الإسلام يتحكّم في أعمال المؤمن وأقواله ، فكل عمل يريد الإنسان أن يقوم به يقول له الدين إن تكليفك في هذا العمل هو كذا ، بل إن الدين يتحكّم حتى في الأفكار بمعنى أنه يقول لك لا تفكّر في هذا الشيء المحرّم لأنه يؤثر على نفسك ، فالإسلام يشمل جميع جوانب الحياة ، إن الإنسان إذا أراد أن يكون مؤمناً حقيقياً فلا بدّ أن يأخذ بكل ما يجسّده رسول الله صلى الله عليه وآله .

إذن : الإسلام يعطي اتجاهها معيّنًا ، يقول لك إذا أردت أن تتّجه إلى لقاء الله عز وجل فلا بدّ أن تأخذ ما بيّنه لك رسوله صلى الله عليه وآله ، فإذا أردت أن تسير على الصراط المستقيم فلا بدّ أن تأخذ بهذه الوسائل التي حدّدها الدين ، وبدون هذه الوسائل لا يمكن للإنسان أن يسير في اتجاه صحيح على الصراط

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الأول ٧٣

المستقيم ، فالإنسان إذا كان يظن أنه سائر على الصراط وهو لا يأخذ بما يريده الله ففي الواقع هو يسير في الاتجاه الخاطيء ، هو يتوهم أنه يسير في الطريق الصحيح لأنه يعيش تصورات خيالية وأوهام لا حقيقة لها ، إن من يريد أن يسير على الصراط فإنه عن طريق الأوهام لا يتحرك تحركاً صحيحاً عليه ، كمن يتخيل أنه يقود سيارة فيتحرك في عالم الخيال والأوهام ، وفي الواقع لا توجد عنده حركة ، والأمني والأوهام لا تدخل الإنسان إلى الجنة ، فيستطيع الإنسان أن يغمض عينيه ويتخيل أنه قد دخل الجنة وأكل من ثمارها وشرب من أنهارها وعاش في نعيمها ، ولكنه بهذه الخيالات لا يمكن أن يصل إلى أي مكان ، فإذا أراد الجنة فلا بدّ من أن يأخذ بكل ما يريده الإسلام منه من الإيمان بالله والعمل المترتب على الإيمان .

وفي بعض الروايات أن طريق الجنة محفوظة بالمكاره ، فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : " الجنة محفوظة بالمكاره والصبر ، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة ، وجهنم محفوظة باللذات والشهوات ، فمن أعطى نفسه لذتها وشهواتها دخل النار " (١) .

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٧٢ ح ٤ .

والمكاره معناها الصعوبات أي أن الجنة تحتاج إلى جهد وعمل وتعب حتى يصل إليها الإنسان ، فالإنسان الذي لا يشعر بصعوبات في حياته كلها أقول له انتبه إلى نفسك فقد يكون الله مبتليك بهذه النعم الموجودة بين يديك ، فلا بد أن يشعر الإنسان في الحياة الدنيا بمصاعب وابتلاءات وعناء ، فإذا لم يكن يشعر بذلك فعليه أن يراجع إيمانه .

رجوع إلى مثال البيوت الأربعة :

أرجع مرة أخرى إلى مثال البيوت الأربعة بعد تأسيس هذه الأسس وهذا البناء ، أسأل هذا الذي يقول : " أنا شيعي " ، لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعيش في زماننا الحالي وكانت هذه القسيمة بيده أو بيد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كيف كان بينها ؟ هل كان بينها بهذه الطريقة التي تبني الآن ويصرف عليها هذه التكاليف الباهظة ؟ وهل يفرشها كما يفرشها الناس الآن ؟

سؤال مهم موجّه للشخص الذي يدّعي أنه يقتدي برسول الله صلى الله عليه وآله ، لا بدّ أن يدرك كيفية معيشتة صلى الله عليه وآله لو كان في زماننا الحاضر ، لو كان الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف موجودا معنا اليوم ونعطيهِ هذه القسيمة هدية

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الأول ٧٥

له ونطلب منه أن يبنها كما يريد الدين ، والإمام هو مجسّد للإسلام ، فكيف سيبنى هذه القسيمة ؟

بالطبع هذا مثال فقط ، ونطبق هذا الشيء على كل ما يجري في حياتنا من أمور ، فإذا كان الشخص يحب الرسول صلى الله عليه وآله فلا بدّ أن يقتدي به في كل شيء ، ومنه طريقة وكيفية البناء والتأثيث مثلا ، ولا تظنوا أنه أمر سهل لأن الرسول صلى الله عليه وآله كان يعيش بطريقة معينة والمؤمن في هذا الزمان يريد أن يقتدي برسول الله ويعيش بنفس الطريقة .

قد تقول إن زماننا غير زمان الرسول صلى الله عليه وآله ، فأقول لك تخيّل أنه صلى الله عليه وآله موجود معنا اليوم ، فكيف كان يعيش ؟ وكيف كان يبني بيته ؟ وكيف كان يؤثّثه ؟ وكيف كان يدير حياته كلها ؟

ففي وقتنا الحاضر نرى أن الشيعي يعيش كما يعيش المسيحي واليهودي والكافر ، وحياته لا تختلف عن حياة الآخرين ، بل إن كثيرا من أفكارنا هي أفكار غربية كافرة ، فلنراجع أفكارنا لنرى كم من الأفكار والعقائد التي نحملها ونقتنع بها وندافع عنها ونتحرّك على أساسها هي عقائد كافرة ؟

مثال : شخص يريد أن يتزوج فأول شرط عنده أن تكون

زوجته موظفة ، هذه الفكرة من أين أتت ؟

الأب المؤمن الذي يذهب إلى المساجد والحسينيات يشترط على هذا المتقدم أن يترك ابنته تكمل دراستها وتتقود سيارة وتتوظف ، والشاب يوافق على ذلك ، هذا هو واقعنا اليوم ، هل هذه الشروط بهذه الكيفية هي شروط رسول الله صلى الله عليه وآله أو أن هذه الأفكار أفكار غريبة كافرة ؟

قبل عدّة أيام عرض في التلفاز مقابلات مع بعض الناس ، وكانوا يسألونهم السؤال التالي : ما هو رأيك لو كانت زوجتك إنسانة مشهورة ؟

فكانت الآراء مختلفة ، كان البعض يقول لا بأس بذلك ، والبعض يقول هذا شيء جيد والرجل يشعر بالفخر بأن زوجته معروفة مشهورة بين الناس ، فهل هذه المقاييس مقاييس إسلامية إيمانية ؟

ويقابلون امرأة متحجّبة حجابا إسلاميا فتجيب لا مانع من أن أكون مشهورة لأننا في زمان مساواة المرأة بالرجل ، فأقول لها قارني بينك وبين فاطمة الزهراء عليها السلام التي تدّعين أنها سيدة نساء العالمين وأنها القدوة لك ، فامرأة شيعية تريد أن تشتهر في المجتمع وتكون قدوة للنساء ، ولكن ماذا تريد أن تطرح

من أفكار للنساء وهي في هذا الموقع؟!!

إذن : إن كنا من أتباع أهل البيت عليهم السلام فطريقة معيشتنا لا بد أن تكون مختلفة عنها عند المسيحي واليهودي والكافر لا في الواقع الخارجي فقط ، بل حتى في أفكارنا ورغباتنا ومشغلاتنا لا بد أن نكون مختلفين عنهم ، لكننا للأسف نرغب كما يرغبون ونشتهي كما يشتهون ، فنتمنى أن نعيش كما يعيش ذلك الإنسان الغربي الكافر بكل وسائله الحديثة ، فبمجرد ما أن ينزل اختراع جديد في السوق نرى المسلمين يركضون خلف هذه الاختراعات كما يركض الإنسان الكافر كأنهم في ميدان سباق ، وفي موضوع مستقل سأتناول موضوع الاختراعات والوسائل الحديثة وأربطها بعقيدتنا وبأهل البيت عليهم السلام .

أخاطب الإنسان الذي يؤمن بالله وبرسول الله وبأهل بيته وبالمعاد ويوم فيه حساب طويل لماذا تعيش في حياتك كما يعيش الكافر الذي لا يؤمن بما تؤمن ؟ لماذا تفكر كما يفكر الكافر الذي لا يعتقد بوجود الآخرة ؟ لماذا تعتقد بهذه الحياة الدنيا كما يعتقد الكافر الذي يعيش الأهداف الدنيوية فقط ؟ لماذا ترغب في الحصول على نفس ما يرغب به الكافر ؟ لماذا توجد في بيتك نفس الوسائل التي توجد عند الكافر ؟ أين إيمانك بالله وبرسوله

٧٨ الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الأول

وبالإمامة والمعاد ؟ ما هو الفرق بين المؤمن والكافر ؟ ماذا قدم لك هذا الإيمان ؟ ماذا قدم لك هذا الحب الذي تدعيه لله ولرسوله ولأهل بيته ؟ ماذا قدم لك اعتقادك بالإمامة وبأهل البيت عليهم السلام ؟ هل الإنسان يتمنى الدخول إلى الجنة وهو يرغب برغبات الكفار الذين همهم الوحيد هو الدنيا ؟ أين زهد النبي صلى الله عليه وآله في حياتك ؟ ألا يقدم لك زهد النبي صلى الله عليه وآله طريقة معينة في كيفية المعيشة وفي كيفية بناء بيتك وفي اختيار سيارتك وملابسك وكل ما يرتبط بهذه الدنيا ؟ هل أنت فعلا سائر على خط أهل البيت عليهم السلام ؟

لا بد أن يكون لهذا الحب انعكاس خارجي عليك ، وبدون الانعكاس الخارجي تأتي الآية الكريمة وتقول لك إذا لم تكن متبعا لهم ففي الواقع أنت لا تحبهم ، فهذا الاتباع الخارجي يدل على أنك من محبي وأتباع أهل البيت عليهم السلام ، أما الارتباط بهذه الطريقة الحالية بالدنيا ونسيان الآخرة وكأنه لا وجود ليوم الحساب فلا يدل على أن الشخص يحب الله ويحب الرسول وأهل بيته عليهم السلام .

إن الإنسان مسؤول عن أمواله ، ففي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : " لا تزول قدم عبد حتى يسأل عن

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الأول ٧٩

أربعة : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن حبنا أهل البيت " (١) .

هل الآن لدينا هذه النظرة إلى الأموال ؟ هل نحن نراقب

أموالنا في أي شيء نصرفها ؟

لا ، فالمجتمع الآن يعيش حالة الإسراف والتبذير حتى ممن

يفترض فيهم الإيمان ، فأين المسؤولية تجاه الأموال ؟ أين هم من

قول أمير المؤمنين عليه السلام : " ما من رجل طاب مطعمه

ومشربه وملبسه إلا طال وقوفه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ، .

. إن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب " (٢) ؟

لا بد أن يشعر المؤمن بالمسؤولية تجاه الأموال التي جعلها الله

عز وجل أمانة في يده ، ولا يظن أنه حرّ يصرفها كيفما يشاء ، بل

هناك رقابة عليه في كل فلس يصرفه ، وعليه حساب في كل موضع

يضع ماله فيه .

الخلاصة :

من خلال الآية الكريمة يتبين أن من يحب الله عز وجل لا بدّ

أن يكون متبعا لرسول الله صلى الله عليه وآله اتباعا حقيقيا ،

(١) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣١١ ح ١ .

(٢) المصدر السابق ج ٤٢ ص ٢٧٦ ح ٥٨ .

٨٠ الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الأول

وبدون الاتباع لا يوجد في الواقع حب لله عز وجل ، فإذا أردنا أن
يبادلنا الله حبا بحب فلا بدّ أن نجعل خطوة متوسطة بيننا وبينه
سبحانه ، وهي رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم
السلام عن طريق اتباعهم اتباعا حقيقيا ، وبدون هذا الاتباع
نكون مدّعين حب الله عز وجل وحب رسوله صلى الله عليه وآله
وأهل بيته عليهم السلام .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم

محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول

صلى الله عليه وآله

القسم الثاني*

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم
محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

خلاصة القسم الأول :

بدأنا الموضوع بمثال عن أربعة أشخاص من اتجاهات
مختلفة : مسلم ومسيحي ويهودي وكافر ، فلو أعطينا كل واحد
قسيمة وطلبنا منهم أن يبنوها ويفرشوها ، وبعد ذلك ندخل
البيوت الأربعة فماذا نشاهد ؟

* ألقى هذا الموضوع في خطبة الجمعة في منطقة مبارك الكبير
بتاريخ ٢ جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ الموافق ١٣ / ٨ / ١٩٩٩ م .
(١) آل عمران : ٣١ .

٨٢ الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الثاني

نرى أن هناك تشابها بين هذه البيوت من حيث كيفية وطريقة البناء والأثاث ، فنسأل هذا الشيعي الذي يؤمن بالإمامة وبأهل البيت عليهم السلام : كيف تبني كما يبني الإنسان المسيحي واليهودي والكافر مع أن عقائدك تختلف عن عقائدهم ؟ فما هو تأثير اعتقادك بالإمامة وحب أهل البيت عليهم السلام في حياتك ؟

وقلنا بأن الإنسان إذا أحبَّ شيئا حبا حقيقيا فإنه يسعى بطبيعته للحصول على ما يحبُّ ، فإذا أحببت طعاما معيننا فإنك تسعى للحصول عليه ، فإذا كان الشخص يحب أهل البيت عليهم السلام حبا حقيقيا فلا بدَّ أن يسعى إلى طاعتهم وتنفيذ ما يريدون ، فالحب الحقيقي هو الذي يعطي ثمرة خارجية للإنسان ، وبدون الثمرة الخارجية يكون الحب حبا زائفا لأهل البيت عليهم السلام ويكون الشخص مدعيا حبهم ، والادعاء حركة لسانية لا أكثر ، فمن يحب الله ورسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم فلا بدَّ أن يظهر أثر هذا الحب على أفعاله .

ثم قلنا إن الإيمان القلبي - أي الإيمان الذي يظلُّ في نطاق القلب فقط ولا يكون له ثمرة خارجية ونتاج خارجي - لوحده لا يكفي لدخول الجنة ، والحبُّ القلبي لوحده لا يحرك الإنسان ، بل

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الثاني ٨٣
يظل هذا الإنسان ثابتا لا يتغيّر كما هو واقع كثير من الناس
الآن ، فهم خلال سنوات طويلة لا يتغيّرون ، فأفكارهم وحياتهم
ثابتة كأن هذا الذي تراه الآن نسخة منه قبل عشرين سنة ،
ففسأل لماذا لا يتغير الشخص مع أنه لسنوات طويلة يمارس عملا
معينا ؟

معنى ذلك أنه لم يكن يتأثر بما يؤدّيه .

إذن : من يريد أن يسير في الاتجاه الصحيح وأن يكون لحبّ
أهل البيت عليهم السلام انعكاس على حياته فلا بدّ أن يعرف
تعاليمهم وأن يطبّقها على حياته حتى يكون من المحبّين فعلا لأهل
البيت عليهم السلام .

كثير من المؤمنين يدعون في أدعيتهم بهذا الدعاء : " اللهم
اجعل محياي محيا محمد وآل محمد ومماتي ممات محمد وآل
محمد " (١) ، ولكن هل يدركون معنى هذا الدعاء ؟ وهل يريدون
حقّا أن يعيشوا مثل حياته صلى الله عليه وآله ؟

لنأخذ مثلا واحدا من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ،
الرسول الذي نقول إننا نتّخذة قدوة وأسوة لنا ، والذي نسير على
طريقه ونهجه ، سمعنا كثيرا عن زهده صلى الله عليه وآله ، هل

(١) مصباح المتهجّد للشيخ الطوسي قدس سره ص ٧٧٥ .

فعلا تريد أن تكون زاهدا في هذه الحياة الدنيا ؟

عليك أن تجيب عن هذا السؤال لنفسك لا للآخرين حتى تعرف نفسك لأن حياتنا الحالية التي نعيشها الآن لا تعبّر عن زهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا تعبّر عن تحلّي أهل البيت عليهم السلام عن هذه الدنيا .

لو كان النبي صلى الله عليه وآله في زماننا الحالي ونعطيّه هذه القسيمة حتى نرى كيف يبني هذا البيت ، هل بينيه بالطريقة الموجودة الآن أم أنه سيبنيه بطريقة أخرى لأنه المجسّد المثالي للإسلام ؟

ولا أعتقد بأن رسول الله صلى الله عليه وآله سيبنيه بهذه الطريقة الموجودة الآن ولا بهذه التكاليف الكثيرة ، بل سيكون مجسّدا للزهد في الحياة الدنيا .

إن من يريد أن يكون مؤمنا حقيقيا لا بد أن تكون رغباته مختلفة عن رغبات الإنسان الكافر الذي لا يؤمن بالمعاد ، فكيف تكون حياتنا الدنيوية كحياة الكافرين ونحن ندّعي الإيمان بالمعاد حيث يقول الله تعالى : ﴿ نَزِيزٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ ^(١) ؟

(١) البقرة : ٢١٢ .

لا بدّ أن تكون حياتنا مختلفة عن حياتهم وأن يظهر أثر إيماننا على أفعالنا بحيث إذا دخل شخص إلى بيت المؤمن يقول إن هذا فعلاً يؤمن بالله عز وجل وبالمعاد وبيوم الحساب ، فإيمانه له أثر على سلوكه الظاهري الخارجي ، فلا بدّ أن يعيش المؤمن الزهد في الدنيا وتظهر عنده أثر الرغبة في الآخرة على أعماله وطريقة معيشته .

إذن : لا بدّ أن يظهر أثر الإيمان على طريقة الإنسان في بيته ولباسه وسيارته وكيفية معيشته وحتى في تفكيره ، وبدون ظهور هذا الأثر الخارجي يتحتّم على الإنسان أن يراجع إيمانه ويرى هل أنه مؤمن فعلاً بالله وبرسوله وبأهل بيته وبيوم المعاد ؟

مثال : امرأة تقول إنها مؤمنة وتلبس حجاباً شرعياً كاملاً ، ولكنك ترى ابنتها إلى جنبها تسير معها وهي سافرة أو تلبس ملابس ضيقة مع قطعة قماش صغيرة وملونة على رأسها وتظهر بعض خصلات الشعر من تحت هذه القطعة .

ومؤمن يذهب إلى المساجد والحسينيات سنوات طويلة ، تنظر إلى بناته فتراهن سافرات أو يلبسن ملابس ضيقة مع قطعة قماش صغيرة ملونة يطلقون عليها حجاباً وهي ليست بحجاب .

نسأل هذه المؤمنة وهذا المؤمن : هل تعرفان كيفية الحجاب

٨٦ الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الثاني

الشرعي ؟ هل هذا الحجاب الذي تلبسه ابنتك هو حجاب سيده

نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام ؟

بالطبع لا ، إذن لماذا تترك ابنتك تلبس حجابا غير شرعي

مع أنها تكون قد وصلت إلى سن البلوغ ؟

يجيب إنها صغيرة ، فأقول له إن هذه البنت ستكبر وستسير

على نفس هذا اللاحجاب ، لذلك ترى أنها تبلغ عشرين أو ثلاثين

سنة وهي تلبس حجابا بنفس الطريقة التي كانت تلبسها وهي

صغيرة ، فهذه المرأة التي تلبس حجابا شرعيا لماذا لا تلبس

ابنتها الحجاب بنفس الطريقة الشرعية ؟ لماذا تلبسها لباس

الكافرات والفاسقات والفاجرات ؟ هل الحجاب الشرعي للكبار

فقط أو أن البنت بمجرد أن تكمل تسع سنوات هجرية قمرية

يكون الحجاب الشرعي واجبا عليها ويجب على المسؤول عنها أن

يلبسها الحجاب بالطريقة التي رسمها لنا رسول الله صلى الله

عليه وآله لا بالطريقة التي يقدمها لنا أصحاب دور الأزياء ؟

هذا الأمر لا بد من الالتفات إليه لأهميته ولترتب الثواب

والعقاب عليه .

إذا كان هذا الأب المؤمن وهذه الأم المؤمنة يؤمنان فعلا بيوم

القيامة لأن الله سيحاسبهما على كيفية إلباس بناتهما فيجب

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الثاني ٨٧

عليهما القيام بهذا التكليف الشرعي ، فلو كانا يحبان رسول الله صلى الله عليه وآله لاستحياً منه ، فالشخص الذي يدعي التشيع كيف يكون شيعياً ومتبعا لأهل البيت عليهم السلام وهو في نفس الوقت يعصي أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والأئمة عليهم السلام ؟

هذا مثال من الأمثلة الواقعية الموجودة اليوم .

وألفت نظركم هنا إلى نقطة هامة ، وهي أن المؤمن والمؤمنة إذا كانا يحبان أولادهما وبناتهما ويريدان مصلحتهم فلماذا يدخلانهم إلى جهنم ؟!

إذا كان الإنسان يحب أبناءه فالمفروض أن يفكر كيف يدخلهم إلى الجنة لأن الحياة الدائمة هي هناك والدنيا ستزول ، فهي تدعي أنها تحب ابنتها ولكن إظهارها لها بدون الحجاب الشرعي يدل على عكس ما تدعي ، ففي الواقع هي تربي ابنتها على ما يدخلها إلى نار جهنم وهي لا تشعر بذلك ، وهذا الحب منها لأبنائها حب زائف لا حب حقيقي .

إن الإنسان المؤمن عليه مسؤولية تربية أبنائه تربية صالحة لأن هذه البنت ستقول يوم القيامة : " يا الله ! يا رسول الله ! يا أمير المؤمنين ! يا فاطمة الزهراء ! أبي وأمي ربّاني على هذه

الطريقة ، فحاسبهما قبل أن تحاسبني يا ربي ! " .

سيكون هناك حساب للأب والأم على كفيّة تربية الأبناء ،
والمؤمن والمؤمنة لا بدّ أن يشعرا بهذه المسؤولية وأن يربياهم تربية
صالحة لا أن مهمتهما تنحصر فقط بالطعام والشراب وتوفير
الأمور المادية والحياة المرفهة .

إن الأولاد اليوم لا يشعرون بأيّ معاناة في حياتهم ، فكلما أراد
الولد شيئاً فالأبوان مستعدّان لتلبية طلبه ، وإذا لم يحصل عليه
عن طريق الأب اتجه إلى الأم ، والأم بعاطفتها مستعدّة أن توفّر
له كل ما يريده حتى لو يكن بحاجة إليه ، فبمجرّد أن تنزل لعبة
جديدة إلى السوق تجدهما يسرعان لشرائها لولدهما ، إن الطفل
لا بدّ أن يشعر بقليل من المعاناة من خلال التربية حتى يعرف أنه
لا يستطيع أن يحصل على كل ما يشتهي ، ومن أسس تربيته أن لا
يحصل على كل شيء حتى لا يكون مدللاً ، بل يحصل على الشيء
الذي فيه مصلحة له لأن هذا يشكل خطراً على شخصيته إذا كبر
، فمثلاً هذا الشاب بمجرد ما يصل إلى البلوغ يجد أن السيارة
الجديدة جاهزة تحت الطلب ، وترون ما يفعل هذا الشاب
المستهتر بهذه السيارة لأنه لا يشعر بأيّ مسؤولية إذ أنه إذا دمرها
في حادث فإن الأب أو الأم على استعداد لشراء سيارة أخرى له ،

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الثاني ٨٩

فهذه الطريقة لا يشعر الابن بأي مسؤولية تجاه حياته ولا يمكنه الاعتماد على نفسه مع أنه قد يكون بلغ مبلغ الرجال ، والبنت بلغت مبلغ النساء .

إن دور الإنسان المؤمن أن يكون مسؤولاً عن هذا الدين العالمي ، فنحن نقول بعالمية الدين الإسلامي وبأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث للناس كافة ، فلا بدّ أن نشعر بهذه المسؤولية وأن نسعى لإقامة ونشر هذا الدين في العالم ، وهذا جزء من مسؤولية المؤمن ، فعلى المؤمن أن يتحمّل حفظ الدين ونشره في العالم ، فيشعر المؤمن بهذه المسؤولية وينقلها إلى أبنائه ، وهم يشعرون بها وينقلونها إلى أبنائهم ، وهكذا تستمر هذه السلسلة إلى ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف .

إن الإنسان لا بدّ أن يعرف أمرا ، وهو أنه لا يوجد خلود في هذه الحياة الدنيا ، بل سينتقل إلى عالم آخر وحياة أخرى هي الخالدة ، فالحياة الدنيوية يعيش الإنسان فيها بشكل مؤقت ثم ينتقل إلى حياة أخرى فيها حساب وجنة ونار ، وهذا الأمر ليس هزلا ، بل هو حقيقة سيرها الإنسان ويتيقن بها ، فإما خلود في الجنة أو النار أو عذاب مؤقت ثم انتقال إلى الجنة ، ولكن هذا العذاب المؤقت قد يمتدّ إلى ملايين السنوات ، فإذا كان الإنسان

٩٠ الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الثاني

يرى أن هذه الدنيا عبارة عن وسيلة للانتقال إلى حياة أخرى خالدة فإنه سيتعامل مع هذه الدنيا تعاملًا بشكل آخر ، فالمؤمن يعيش في الدنيا ولكن قلبه يكون متعلقًا بالآخرة ، فمقاييسه تكون مقاييس أخروية لا مقاييس دنيوية ، فبأي وجه يقابل من يدعي التشيع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يعصي أوامره ويتبع شهواته الباطلة ويتعلق بهذه الدنيا الزائلة ويتعامل معها وكأنها خالدة باقية ويفضل عن وجود عالم آخر يحيى فيه خالداً؟!!

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (١) .

ويقول عز وجل : ﴿ وَمَا أُوتِئْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

إن الإنسان العاقل هو الذي لا يقدم هذه الدنيا على الآخرة ، فالآية الكريمة تقول كونوا عقلاء واعلموا أن هذه الدنيا لا قيمة لها ، وإنما هي طريق وجسر إلى الآخرة ، والآخرة هي الباقية الدائمة الخالدة ، فلماذا تؤثرون الحياة الدنيا وتقدمونها على

(١) الأعلى : ١٦ - ١٧ .

(٢) القصص : ٦٠ .

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الثاني ٩١

الحياة الأخروية التي تحصلون فيها على الخلود وعلى النعيم

الدائم ؟!

الخلاصة :

اتّباع رسول الله صلى الله عليه وآله يكون نتيجة للحبّ الحقيقي ، والحبّ بدون اتّباع يكون في الواقع حبّاً زائفاً لا قيمة له ، وإذا أردنا أن يبادلنا الله عز وجل حبّاً بحبّ فلا بدّ أن نأخذ بالخطوة الوسطى بين حبّنا لله وحبّ الله لنا ، وهذه الخطوة الوسطى هي اتّباع الرسول صلى الله عليه وآله ، والاتباع هو أن يجسّد الإنسان ما أراه الرسول صلى الله عليه وآله في الحياة الدنيا حتى يصل إلى يوم القيامة أبيض الوجه ، والرغبات الكافرة والشهوات الباطلة التي يعيشها لا تقرّب به إلى الله عز وجل ، بل تبعده عنه تعالى .

ونستطيع أن نقارن بين حياتنا وحياة رسول الله صلى الله عليه وآله لنرى إلى أي حدّ نحن نقفدي به ، فنحن نريد أن نرتبط بالدين أكثر ، ونريد أن نرتبط برسول الله صلى الله عليه وآله أكثر وأن نتّخذة قدوة لنا في حياتنا ، فعلينا أن ندرس حياة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نعرف كيف كان يعيش وماذا يريد ممّا هو اتجاهاه حتى نسير على خطاه .

وهنا أنقل لكم هذه الرواية التي نستفيد منها عمليا في حياتنا وهي : جاء شخص إلى أمير المؤمنين عليه السلام وكان يدعي أنه يرجو الله عز وجل فردَّ عليه السلام عليه بهذا الرد قال : " كذب والعظيم ، ما باله لا يُتَبَيَّن رجاؤه في عمله ؟! ، وكل من رجا عُرف رجاؤه في عمله (فالذي يرجو ويحب شيئا فإنه يسعى للحصول عليه ويظهر أثر ذلك على سلوكه) ، ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كافٍ لك في الأسوة ودليلٌ على ذم الدنيا وعيبتها وكثرة مخازيها ومساوئها إذ قُبِضَتْ عنه أطرافها ووطأت لغيره أكنافها وقُطِمَ عن رضاها وزَوَى (أي ابتعد) عن زخارفها ، . . . فتأسَّ بنبيك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله فإن فيه أسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى ، وأحبُّ العباد إلى الله المتأسى بنبيه والمقتصد لأثره ، قَضَم الدنيا قضا ، ولم يُعْرِها طَرْفا (أي لم يهتم بالدنيا طرفة عين فكان زاهدا فيها زهدا حقيقيا لا ادعائيا) ، . . . عُرِضَتْ عليه الدنيا فأبى أن يقبلها (ونحن لو عُرِضَتْ علينا الدنيا نأخذها ولا نرفضها) ، وعلم أن الله أبغض شيئا فأبغضه ، وحقر شيئا فأحقره (والله يحقر الدنيا فكيف نتعلق بشيء حقير عند الله عز وجل ؟!) ، وصعَّر شيئا فصعَّره ، . . . ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الثاني ٩٣

بيده ثوبه ، ويركب الحمار العاري ويُرَدِّفُ خلفه (الحمار أي وسيلة النقل ، والرسول صلى الله عليه وآله كان يركب الحمار العاري ، فقارن بينك وبين رسول الله وكيف أنك ترغب بالحصول على أفخم سيارة) ، ويكون السّتر على باب بيته تكون فيه التصاوير فيقول : يا فلانة - لإحدى أزواجه - غَيَّبِيه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها (والآن انظر إلى كل ما حولنا ، فإن كل ما في بيوتنا يذكرنا بالدنيا ولا يذكرنا بالآخرة ، وأكثر من هذا حتى زخارف المساجد والحسينيات تذكرنا بالدنيا) ، فأعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها من نفسه وأحبّ أن تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتّخذ منها رياشا ، ولا يعتقدها قرارا ، ولا يرجو فيها مقاما ، فأخرجها من النفس وأشخصها عن القلب (أي أبعدها عنه) وغَيَّبَهَا عن البصر (فلا يجعل أمامه شيئا ينظر إليه يذكره ويربطه بالدنيا) ، وكذلك من أبغض شيئا أبغض أن ينظر إليه وأن يُذكَر عنده (وأحاديثنا الآن كلها أحاديث دنيوية عن القسيمة والبيت والراتب والسيارة والأثاث وغير ذلك من الأمور الدنيوية)
فإن تأسى متأسى بنبيّه واقتصّ أثره وولج مولجه وإلا فلا يأمن الهلكة (إذا تأسى الشخص بالنبي صلى الله عليه وآله فإنه سيفوز ، وإذا لم يتأسى فلا يأمن الهلاك) فإن الله جعل محمدا صلى الله

٩٤ الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الثاني
عليه وآله علماً للساعة ومبشراً بالجنة ومنذراً بالعقوبة ، خرج من
الدنيا خميصاً (أي لا بطن له من الجوع) ، وورد الآخرة سليماً ،
ولم يضع حجراً على حجر (أي لم يبن بنيانا) حتى مضى لسبيله
وأجاب داعي ربه ، فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا به
سلفاً نتبعه وقائداً نطأ عقبه ، والله لقد رقت مدرعتي هذه حتى
استحييت من راقعها (ونحن ملابسنا جديدة ومع ذلك فإننا في
كل سنة نغيرها) ، ولقد قال لي قائل : ألا تتبذرها ؟ فقلت : اغرب
عني ! فعند الصباح يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى (أي النهاية قريبة فلماذا
أهتم بتغيير ثوبي ؟) (١) .

ولنسأل أنفسنا هذه الأسئلة : هل نحن الآن نعيش حياة
رسول الله صلى الله عليه وآله وحياة أمير المؤمنين عليه السلام
ونحن نقول إننا أتباعهم ؟ وإلى أي مدى نحن جسّدنا حياتهم في
حياتنا الدنيويّة الحاليّة ؟

(١) مكارم الأخلاق للشيخ رضي الدين الطبرسي ص ٨ - ١٠ .
يقول الشيخ محمد عبده : " والمثل معناه إذا أصبح النائمون وقد رأوا
السّارين واصلين إلى مقاصدهم حمدوا سراهم وندموا على نوم أنفسهم ، أو
إذا أصبح السّارون وقد وصلوا إلى ما ساروا إليه حمدوا سراهم وإن كان شاقاً
حيث أبلغهم إلى ما قصدوا ، والسُّرى - بضم ففتح - السّير ليلاً " . شرح
نهج البلاغة ج ٢ ص ٦١ .

نحن نتعامل مع هذه الدنيا وكأننا خالدون فيها وكأنه لا وجود للجنة والنار ، فهل نعتقد أننا سندخل الجنة بلا عمل لمجرد أننا نقول إننا من شيعة أهل البيت عليهم السلام ؟

إذا كنا نعتقد هذا الاعتقاد فإننا نعيش الأوهام ، ففي يوم القيامة لا يُسأل الإنسان فقط هل أنت شيوعي ؟

فإن قال : " نعم " ؛ قيل له تفضل ادخل إلى الجنة على الرَّحْب والسعة ، بل ينظر الله عز وجل إلى عقائد الإنسان الرَّاسخة في قلبه ، ثم ينظر إلى أعماله التي ترتبت على هذه العقائد ، فلا يكفي أن نقول إننا شيعة ونحن عملياً لا نتأسى ولا نقتدي برسول الله صلى الله عليه وآله .

الخلاصة :

إذا أردنا أن نكون متّبعين لرسول الله صلى الله عليه وآله فلا بدّ أن نجسّد هذا الاتّباع في حياتنا العمليّة في كل أمر نمارسه في حياتنا الدنيوية حتى نحشر مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبالتالي نحصل على رضا الله تعالى وعلى الجنات الواسعة التي تجري من تحتها الأنهار ، تلك الجنات التي يحصل عليها الإنسان بالإيمان والعمل ، وبدون العمل لا يمكن أن يصل إلى تلك المرتبة العالية ، بل هو يعيش الأوهام ، ولا يمكن أن يدخل الإنسان

٩٦ الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الثاني

الجنة بالأوهام والأمانى لأن الأوهام لا توصل الشخص إلا إلى الأوهام .

إذن : لا يوجد حبّ بلا اتباع ، وبدون اتباع يكون هذا الحبّ حبّاً زائفاً لا حقيقياً .

وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يجعلنا من السائرين على خط رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الذين لم يتعلّقوا بهذه الدنيا طرفة عين ، بل عاشوا في هذه الدنيا وقلوبهم معلقةً بالملاّ الأعلى ، وأن يجعل في قلوبنا حبّاً حقيقياً لهم صلوات الله عليهم أجمعين .

يقول الله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بُعْثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

(١) الزمر : ٥٥ - ٥٩ .

الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الثاني ٩٧

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال : " إذا
تخلّى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله " (١) .

إذن : هناك نتائج مترتبة على التخلّي عن الدنيا ، فإذا تخلّى
الإنسان عن الدنيا يسمو ويرتفع حتى يجد حلاوة حبّ الله ، فمن
لا يجد حلاوة حبّ الله فهو لم يسمُ ولم يتخلّ عن الدنيا ،
فلنلتفت إلى ذلك فالأمور مترابطة والإيمان كلٌّ لا يتجزأ ، فمن
يريد أن يكون مؤمناً فعليه أن يأخذ بكل ثمار الإيمان حتى يكون
مؤمناً حقيقياً .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم
محمد وآله الطيبين الطاهرين .

(١) الكافي ج ٢ ص ١٣٠ ح ١٠ .

الحاجة إلى الإمامة

القسم الأول *

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم
محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

مقدمة :

إن الاجتماع بمناسبات مواليد واستشهاد الأئمة عليهم السلام أمر مستحبّ ، وهو من باب تذاكر أمرهم عليهم السلام وما فعلوه وما قدّموه من تضحيات في سبيل بقاء هذا الدين إلى هذا اليوم ، إن الدين الذي وصل إلينا هذا اليوم والذي نعيش ثماره الآن إنما هو نتيجة دماء سُنِّفِكَتْ وتضحيات قُدِّمَتْ ، ونحن لا نعيش تلك الأيام المظلمة التي كان الشخص يُقْتَلُ فيها على التّهمة بأنه من

* ألقى هذا الموضوع في خطبة الجمعة في منطقة مبارك الكبير بتاريخ ٣ ربيع الثاني ١٤٢٠ هـ الموافق ١٦ / ٧ / ١٩٩٩ م . بمناسبة مولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الثامن من ربيع الثاني سنة ٢٣٢ هـ .

شيعية أهل البيت عليهم السلام .

ولا بدّ من الالتفات إلى أمر مهمّ ، وهو أن الاجتماع بهذه المناسبات لا يعني فقط إلقاء الكلمات وقراءة القصائد والأناشيد ثم الخروج من المسجد أو الحسينية دون أن تنتج هذه الاجتماعات ثمرة عمليّة يبقّى أثرها على أنفسنا إلى آخر العمر ، إنّ سماع الكلمات والقصائد ليس هو الهدف بحدّ ذاته ، وإنما هو وسيلة للتفاعل مع هذه المناسبات حتى يثبت هذا الدين في أنفسنا ونرتبط ارتباطاً عملياً أكبر بأهل البيت عليهم السلام ، وأقول الارتباط العملي لأنه هو المهم ، فالارتباط النظري فقط بزيادة كميّة المعلومات في الذهن لا يُحرِّك الإنسان ، بل لا بدّ أن يتفاعل مع هذه المعلومات تفاعلاً عملياً ويحوّل الارتباط النظري إلى ارتباط عملي حتى يكون ارتباطه بأهل البيت عليهم السلام ارتباطاً حقيقياً بحيث تظهر نتائج هذه الاجتماعات على تصرّفاته وسلوكه .

إن الأثر المطلوب من هذه الاجتماعات له جانبان :

الجانب الأول : الجانب النفسي :

أي أن الشخص يتأثر بها تأثراً نفسياً .

الجانب الثاني : الجانب العملي المترتب على التأثر النفسي :

فالإنسان يتفاعل أولاً مع حدث المناسبة ثم تكون نتيجة هذا التأثر هي الارتباط العملي لا أنه يتأثر نفسياً فقط وبمجرد أن يخرج من باب المسجد أو الحسينية يزول وينتهي هذا التأثر ، فلا بد أن يستمر هذا الأثر عنده وينتج نتائج عملية ، فالمفروض أنه بعد الدخول إلى المسجد أو الحسينية والخروج منه يكون هذا الشخص قد اكتسب وأضاف إلى نفسه شيئاً جديداً لا أنه فقط يقتصر على الحضور دون التأثر ، والثواب يترتب على التأثر النفسي مع القيام بما يترتب على التأثر النفسي من أعمال ، فالعمل المترتب على التأثر النفسي يَنْتُج بشكل طبيعي ، فالنتيجة الخارجية تترتب بدون تكلف على النتيجة النفسية الداخلية ، وتكون نتيجة طبيعية مترتبة على التأثر النفسي بهذه الاجتماعات وبما اكتسبه الشخص من معلومات .

نقاط البحث :

في هذه المقالة سأتناول الموضوع ضمن النقاط التالية :

النقطة الأولى : ما هو وجه الحاجة إلى الإمامة ؟

إن الاعتقاد بالإمامة عند شيعة أهل البيت عليهم السلام يعتبر أصلاً من أصول الدين ، فإذا كان أصلاً فإن هذا يعني أن

الحاجة إلى الإمامة - القسم الأول ١٠١

الدين قائم عليه ، وبدونه لا يكون الدين دينا ، فإذا ألغينا الإمامة من ديننا فإن هذا الدين يكون شيئا آخر ولا يكون دينا إسلاميا ، فكما أن البيت يقوم على أساسات ، وبدون الأساسات ينهدم البيت ، كذلك فإن هذا الدين أيضا له أساسات يقوم عليها ، وبدون الإمامة ينهدم الدين وتتكأ أركانه ولا يبقى له أثر ، وبهذا المعنى وردت عدة روايات .

ففي رواية عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام قال : " بني الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ، ولم يُنادَ بشيء كما نودي بالولاية ، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعني الولاية - " (١) .

وعن الإمام أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " . . . لكل شيء أساس ، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت " (٢) .

إن هذا الأساس الذي يقوم عليه الدين لا بد منه ، وبدون هذا الأساس ينمحي هذا الدين ، فولاية أهل البيت عليهم السلام هو الأساس ، وبدون الإمامة لا وجود للدين ، وهذا ما يعتقد به

(١) الكافي ج ٢ ص ١٨ ح ٣ .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٦ ح ٢ .

١٠٢ الحاجة إلى الإمامة - القسم الأول

أتباع أهل البيت عليهم السلام ، بل يعتقد به أيضا أهل السنة ، ولكن تأتي الإمامة عندهم بعناوين أخرى ، مثلا " قول الصحابي وعمله حجة " ، فنسأل : على أي أساس يكون حجة ؟

على أساس أنهم يعتبرون كل الصحابة أئمة ، فهم يعتقدون بإمامتهم وإن لم يصرّحوا بأنهم اتخذوهم أئمة لهم ، فهم يعتقدون بالإمامة كأصل من أصول الدين وإن لم يصرّحوا بذلك ، فاعتقادهم بحجية قول الصحابي وفعله يدل على أن الإمامة أصل من أصول مذهبهم ، واعتقادهم بعدالة جميع الصحابة دليل على اعتقادهم بأصل إمامة الصحابة ، ويقولون بأن من يطعن بأحد الصحابة فهو كافر ، فقولهم يدل على أنهم اتخذوهم أئمة لهم ، فلو لم تكن الإمامة أصل من أصول الدين وكانت من فروع الدين فلماذا التكفير إذن ؟!

إذن : أتباع أهل البيت عليهم السلام يصرّحون بأن الإمامة أصل من أصول الدين ، أما أهل السنة فلا يصرّحون بذلك ، لكنهم من ناحية عملية يعتقدون بالإمامة وإن جاؤوا بعنوان آخر لها كعدالة جميع الصحابة أو قول الصحابي وعمله حجة ، والاعتقاد بالإمامة كأصل من أصول الدين يعتبر جزءا من الدين ، وبدون هذا الجزء لا يكون هذا الدين ديننا إسلاميا .

النتيجة :

الإمامة أصل من أصول الدين .

النقطة الثانية : هل اتخاذ الإمام أمر فطري عند الإنسان ؟

إن الإنسان سواء كان كافرا أم مسلما أم مؤمنا أم بوذيا هل اتخذه للإمامة جزء من فطرته أم أن الله فرض الإمامة على الناس كأمر تعبديّ دون أن يكون فيهم شيء فطري يدعوهم إلى الاعتقاد بالإمامة ؟

لنسأل أي شخص في العالم : من هو مثلك الأعلى ؟ من الذي تحب أن تكون مثله ؟

فيجيب - مثلا - : إن فلانا هو المثل الأعلى لي ، وأحاول أن أكون مثله .

واسأل أي شاب من الشباب : لماذا تقصّ شعرك بهذه الطريقة الغريبة ؟

فيجيبك - مثلا - : إنني أقلد المغنيّ الفلاني .

واسأله : لماذا تلبس هذه الملابس الغريبة ؟

فيجيب : إنني أقلد الممثلّ الفلاني .

هذا الجواب معناه أن هذا الشاب أتخذ هذا المغنيّ أو الممثلّ

إماما له في هذا الجانب أو في ذلك الجانب ، فالإمامة بشكل

فطري موجود عند الإنسان ، ولكنه لا يلتفت إلى أن هذا يُمثّل إماما له ، وطالما أنه يحب أن يكون مثل هذا الشخص فمعناه أن هذا الشخص إمام له في الجانب الذي يحب أن يقلده فيه .

وهكذا الإنسان دائما لا يخلو من اتخاذ إمام له في حياته ، وتجد أنه يتخذ أئمة مختلفين منذ نعومة أظفاره وإلى أن يكبر .

اسأل الطفل : مثْلُ مَنْ تريد أن تكون ؟

فيقول : مثل أبي .

معنى ذلك أن الأب يمثّل الإمامة عند هذا الطفل ، فهو يُمثّل قدوة ومثلاً أعلى وإماما له ، ويكبر الطفل وبعد أن يبلغ عمرا معيّنًا ويختلط بأناس آخرين أسأله : من تحب أن تكون مثله ؟

فقد يجيب : مثل أستاذي .

ويكبر أكثر ويتخذ شخصا آخر مثلا أعلى له كصديقه مثلا ، وهكذا دائما تجد للإنسان مثلاً أعلى في حياته ، فإما أن يصير شخصا منحرفا فاسقا فيتخذ بعض الفسقة أئمة له ، وإما أن يكون متديّنا يتخذ أهل البيت عليهم السلام قدوة وأئمة له ، فيحب أن يكون مثل هذا الشخص المتديّن أو ذاك العالم الفلاني .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : " . . . ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدي به ويستضيء بنور علمه ، . . . " (٢) .

بالطبع هذا الذي يتخذ إماما من أئمة الهدى ، أما من يتخذ إماما من أئمة الكفر والفسق فلا يوجد عنده نور حتى يستضيء به ، بل لا يوجد عنده علم أصلا ، ومن يتخذ إماما من أئمة الضلال فإن مصيره سيكون إلى الخسران والهلاك .

إذن : الإنسان لا يخلو من إمام في أي لحظة من لحظات حياته ، وقد لا يطلق عليه لقب " الإمام " ، بل يطلق عليه لقب " القدوة " أو " المثل الأعلى " أو " من يحب أن يكون مثله " أو " من يريد الوصول إلى منزلته ومكانته " ، وغيرها من العناوين المختلفة ، ولكنها كلها تعبيرات مختلفة عن " الإمامة " ، فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد ، فتكون مثل المترادفات الموجودة في اللغة أي كلمات مختلفة تعطي معنى واحدا .

(١) الأحزاب : ٢١ .

(٢) نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٠٥ باب ٤٥ .

النتيجة :

الإمامة أمر فطري يبدأ عند الإنسان من الطفولة ويستمر معه إلى آخر حياته .

النقطة الثالثة : من هو إمامك ؟

والآن نأتي إليك أيها المؤمن ، فأنت تدعي أنك شيعي وموالم لأهل البيت عليهم السلام ومن أتباعهم ومحبيهم ، فمن هو إمامك ؟ وعلى أي أساس تختار الإمام ؟

وسيكون جواب الشيعي - بالطبع - : " أتخذ أهل البيت عليهم السلام أئمة لي " ، وهذا جواب متوقّع منه ، ولكن يترتب على هذا الجواب بعض الأمور التي سأذكرها في النقطة الرابعة .

إن المؤمن يريد أن يتحرّك باتجاه الله عز وجل ، ولكن يحتاج في تحرّكه في هذا الاتجاه إلى وسائل للحركة وإلى من يوجّهه بحيث لا ينحرف لا إلى اليمين ولا إلى الشمال فيخرج عن الخط الذي رسمه الله له أي يريد أن يسير على الصراط المستقيم .

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

(١) المائدة : ٣٥ .

إن المؤمن باعتبار إيمانه يكون مطيعاً لله عز وجل طاعة كاملة ، فهو لا يحيد طرفة عين عن ذكر الله وطاعته تعالى ، والإنسان في حركته باتجاه الله تعالى يحتاج إلى قائد يوجهه الوجهة الصحيحة ، فلا بدّ أن يكون هذا القائد عارفاً بمشاكل الطريق ومعوّقاته وكيفية علاج هذه المشاكل وإزالة هذه المعوّقات ، لذلك يُشترط في الإمام أن يكون عالماً ومعصوماً ، عالماً حتى يعرف مشاكل الطريق وحلوله ، ومعصوماً حتى لا ينحرف فيقع في الحرام فيتبعه الآخرون في هذا الانحراف ، وهذا القائد بهذه المواصفات لا يمكن لنا معرفته وتحديده ، بل لا بدّ أن يُعيّنه الله عز وجل لنا لأنه عالم بحقائق النفوس ، وهذا الشخص الذي يعيّنه الله يأمرنا تعالى بطاعته والسير خلفه واتباعه .

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١) .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الإمام في عصره ، وبعد استشهاده عيّن من بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليكون قائداً لهذا الطريق باتجاه الله عز وجل ،

(١) النساء : ٥٩ .

واستمر كل إمام بتعيين الإمام الذي بعده إلى أن وصل الدور إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، فهو الإمام الوحيد ولا يوجد إمام آخر غيره ، ففي هذا الزمان الإمام المفترض الطاعة والذي يجب أن نقلده ونبتّعه ونسير خلفه ونتّخذة قدوة هو الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ولا إمام آخر لنا في هذا الزمان بأي عنوان آخر ، ولكي يكون الشخص مؤمنا لا بدّ أن يكون المهدي عليه السلام هو إمامه الوحيد الذي لا يشرك بإمامته أحدا ولا يتّخذ من دونه وليا ، ولا يكون المؤمن مؤمنا إلا بهذا الأمر ، فالاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام من علامات الإيمان .

إذن : حتى يكون الإنسان مؤمنا حقّ الإيمان لا بدّ أن يكون الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو إمامه الوحيد ولا يتّخذ معه إماما آخر .

أما مرجع التقليد فهو نائب عن الإمام المهدي عليه السلام ، فالمرجع يأخذ من أهل البيت عليهم السلام عن طريق الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، والمؤمن يرجع إلى مرجع التقليد في الفتاوى ، ولا يرجع إليه في الأفعال الخاصة كأن يمدّ المرجع رجليه ، فلا يجب على المكلف ذلك ، ففتاوى مرجع التقليد تكون

حجة على المؤمن .

إذن : بعد أن كان اتخاذ الإمام أمرا فطريا عند الناس كان لا بدّ من الله أن يُحدّد ويُعيّن إمام الهدى والحق لهم ، فمتطلّبات الأمر الفطري لا بدّ أن يشبعها الله لنا ، فلا يترك الله عزّ وجلّ الناس هملا من غير راع يرعاهم وبغير قائد يقودهم ، وقد عيّنهم الله عزّ وجلّ واحدا بعد الآخر ، والشواهد على ذلك كثيرة في كتب الشيعة والسنة ، راجع كتاب ينايع المودة للقندوزي الحنفي حيث أورد رواية في تعيين أسماء الأئمة عليهم السلام بالترتيب كما هو وارد عند مذهب أهل البيت عليهم السلام إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة الواردة في كتب الفريقين ، راجع الكتب التي كتبت في المسائل الخلافية حيث تجد فيها الكثير من الشواهد من كتب أهل السنة والتي تشهد بما يقول به أتباع أهل البيت عليهم السلام وتثبت أحقيّة هذا المذهب ، وقد كتبت الكتب الكثيرة بأقلام الذين دخلوا في مذهب التشيع وحكوا رحلتهم وكيفية دخولهم إلى مذهب التشيع والأدلة التي من طريقها آمنوا بمذهب أهل البيت عليهم السلام .

النتيجة :

قلنا إن الحاجة إلى الإمامة أمر فطري ، فالله عزّ وجلّ أشبع

١١٠ الحاجة إلى الإمامة - القسم الأول

هذه الحاجة فعين الأئمة عليهم السلام استجابة لهذا النداء
الفطري .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد
 وآله الطيبين الطاهرين .

الحاجة إلى الإمامة

القسم الثاني

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

خلاصة القسم الأول :

طرحنا في القسم الأول عدة نقاط ووصلنا إلى النتائج التالية ، وهي أن الإمامة أصل من أصول الدين ، وأن الإمامة أمر فطري عند الإنسان ومستمر معه في كل مراحل حياته ، لذلك فإن الله عز وجل أشبع هذه الحاجة الفطرية وعيّن الأئمة عليهم السلام حتى لا يتخبّطوا في تعيين وتحديد الأئمة فتنشأ الخلافات بين الناس ، وأكمل الموضوع ضمن النقاط التالية :

النقطة الرابعة : ما هو دورنا تجاه هذا الإمام المعين ؟

إن الله عز وجل عيّن الأئمة عليهم السلام ، ونحن قلنا إننا مطيعون لك يا ربّ ، فلنا دور تجاه الإمام عليه السلام ، لن تناقش هنا دور الإمام تجاهنا ، ولكن ما هو دورنا تجاه هذا الإمام المعين من قبَلِ الله عز وجل ؟

لِنَأْتِ أَوْلَا إِلَى مِثَالِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ الَّتِي يَوْجَدُ فِيهَا إِمَامٌ وَمَأْمُومُونَ ، وَيَجِبُ عَلَى الْمَأْمُومِينَ مِتَابَعَةُ إِمَامِ الْجَمَاعَةِ فِي حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَيَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَتَقَدَّمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَحَلِّ وَالْمَكَانِ وَالْمَوْضِعِ ، فَالْإِمَامُ يَقِفُ فِي الْمَقْدَمَةِ وَهُمْ يَقِفُونَ خَلْفَهُ ، وَالْإِمَامُ يَصَلِّي وَالْمَأْمُومُ يَنْسُقُ مَعَ إِمَامِ الْجَمَاعَةِ بِحَيْثُ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ وَلَا يَسْبِقُهُ فِي الْحَرَكَاتِ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ تَأَخُّرًا فَاحِشًا ، فَإِذَا رَكَعَ الْإِمَامُ فَهُمْ يَرُكَعُونَ ، وَإِذَا سَجَدَ يَسْجُدُونَ ، وَإِذَا جَلَسَ يَجْلِسُونَ ، وَهَكَذَا إِلَى آخِرِ الصَّلَاةِ ، فَالسَّابِقُ عَلَيْهِ وَالْمَتَأَخَّرُ عَنْهُ تَأَخُّرًا فَاحِشًا تَكُونُ صَلَاتُهُ بَاطِلَةً ، لِذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الْمَأْمُومِ أَنْ يَنْسُقَ مَعَ الْإِمَامِ .

وَهَذَا الْأَمْرُ يَنْطَبِقُ عَلَى الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ أَيْضًا ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا مِتَابَعَةُ إِمَامِ الْهُدَى الَّذِي عَيَّنَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَعْينُهُ وَيَقُولُ لَنَا : " تَجِبُ عَلَيْكُمْ طَاعَتُهُ " ، فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَكُونَ مُطِيعِينَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقًّا فَيَجِبُ عَلَيْنَا طَاعَةُ هَذَا الْإِمَامِ وَاتِّبَاعُهُ وَالسَّيْرُ خَلْفَهُ وَالتَّنْسِيقُ مَعَهُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ كَمَا يَنْسُقُ الْمَأْمُومُ مَعَ الْإِمَامِ فِي صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ ، فَمَا يَرِيدُهُ الْإِمَامُ الْمَعْصُومُ يَجِبُ عَلَيْنَا فَعْلُهُ ، وَمَا يَكْرَهُهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَرْكُهُ ، فَاتِّبَاعُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ النَّاسِ ، وَالْإِعْتِقَادُ بِهِ وَاتِّبَاعُهُ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِيمَانِ ، فَإِذَا لَمْ يَتَّبِعِ الْإِنْسَانُ الْإِمَامَ الْمَعِينِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَكُونُ أَعْمَالُهُ

باطلة كما أنه في صلاة الجماعة إذا لم ينسّق مع الإمام فصلاته تكون باطلة ، وكذلك من لا ينسّق مع إمام الهدى تكون كل أعماله باطلة .

في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : " ذروة الأمر وسنانه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته ، إن الله عز وجل يقول : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ ^(١) ، أما لو أن رجلا قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله عز وجل حق في ثوابه ، ولا كان من أهل الإيمان " . ثم قال : " أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته " ^(٢) .

إذن : إذا لم يأخذ الإنسان العبادات والأقوال والأفعال من إمام الهدى المعيّن من قبَلِ الله تعالى فكل أعماله التي يقوم بها بدون الولاية تكون باطلة ، لذلك أتت الروايات بأن الولاية أساس الدين ، والدين قائم على الولاية .

(١) النساء : ٨٠ .

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٨ ح ٥ .

النتيجة :

يجب على المؤمن أن يتبع الإمام عليه السلام .

النقطة الخامسة : ما معنى الأتباع ؟

ما معنى أن الإنسان المؤمن يكون متبعا لإمامه عليه السلام ؟
إن الأتباع يعني السير خلف الإمام والتنسيق معه ، فإذا اعتقد الإنسان بالإمام عليه السلام وأخذ أقواله وأفعاله وعمل بها وطبقها على حياته يكون متبعا له ، وبالتالي يكون مأموما ، أما إذا لم تقم حياة الشخص على أساس أقوالهم وأفعالهم فهو ليس متبعا لهم ولا مأموما وإن ادعى بلسانه أنه متبع لهم ، فحركة اللسان لا قيمة لها وتكون الكلمات جوفاء إذا لم يتبعها عمل وتنسيق مع الإمام عليه السلام ، فمن لم يبن كل حياته على تعاليم الإمام عليه السلام فهو فعلا ليس بمؤمن به ، فقول الشخص إنه مؤمن بشيء لا بد أن تستتبعه ثمرة ونتيجة ، فالإيمان بدون ثمرة كالإيمان ، فالإيمان ليس قولا فقط ، بل الإيمان اعتقاد وقول وعمل .

فإذا قامت حياة الإنسان على أساس أقوال وأفعال الإمام المعصوم عليه السلام وسارت حياته كما يريد الإمام فهو يكون مأموما ومؤمنا حقيقيا ، أما إذا كان يأخذ من الإمام المعصوم

ومن غيره فهو لا يكون واقعا مؤمنا بالإمامة ، بل يكون قد أشرك في الإمامة ، ومن يشرك في إمامته عليه السلام ففي هذه الحالة يكون له إمامان : إمام الهدى ، والإمام الآخر يكون إمام ضلالة ، وإذا لم يكن دينه قائما بتمامه على الإمامة فلا يكون مؤمنا بالإمامة إيمانا تاما كاملا ، بل يوجد عنده انحراف عن خط الإمامة ، ويكون مؤمنا بلسانه فقط ، والإيمان بالقول فقط لا يكفي لكي يكون الشخص مؤمنا حقيقة وواقعا وفعلا .

إذن : لا بد أن تقوم حياة المؤمن على أساس الإمامة ، فينسق مع الإمام المعصوم عليه السلام ، ولا يكفي أن يقول الشخص بلسانه إنني مؤمن بالإمامة وإن الإمامة أصل من أصول الدين ، بل عليه أن يراجع حياته ليرى هل هي قائمة فعلا على أساس الإمامة أم لا ، في كل حياته لا فقط في صلاته وصيامه وحجّه ، بل ينظر إلى كل حركة يتحركها وفي كل خطوة يخطوها في حياته ، فهل كل شيء فيها قائمة على أساس الإمامة أم لا ؟

ويجب على كل شخص أن يراقب نفسه ولا يراقب الآخرين ، بل عليه أن يرى أن حياته هو قائمة على هذا الأساس أم لا .

ومن باب المثال اختياره للسيارة وبناء بيته وتعامله مع زوجته وأولاده ، حتى في اختيار الأشياء البسيطة عندما يذهب إلى شراء

١١٦ الحاجة إلى الإمامة - القسم الثاني

الطعام ، فهل يختار الأئمة على أساس إيمانه بالإمامة أو على أساس ما يشتهي ؟

إن الإنسان كثيرا ما يتبع شهواته ، فهنا لا بدّ أن يكون دقيقا في كل خطوة يخطوها ، فهل هو يتحرّك على هذا الأساس أم لا ؟ وهل يتحرّك على أساس الأحكام التي قال بها الإمام عليه السلام لأن كل شيء يقوم به الإنسان لا يخلو من إحدى الأحكام الخمسة : الواجب والمستحب والمباح والمكروه والحرام ؟

فالذي لا يبني حياته على أساس الإمامة فهو في الواقع لا يكون مؤمنا بالإمامة حقاً ، بل يكون عنده حركة لسان فقط ، فمن يقول إنني مؤمن بالإمامة فلا بدّ أن تكون هناك ثمرة عملية ونتيجة خارجية تثبت أنه مؤمن ، فالكلام بحدّ ذاته لا يدلّ على شيء ، فالإيمان له ثلاثة جوانب : جانب قولي ، وجانب قلبي ، وجانب عملي ، وهذه الثلاثة لا بدّ أن تكون متطابقة .

في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال : " الإيمان هو الإقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان " (١) .

وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : " قيل لأئمة المؤمنين عليه السلام : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٧ ح ١ .

رسول الله صلى الله عليه وآله كان مؤمنا ؟ قال : فأين فرائض الله ؟ " (١) .

والفرائض ليست فقط الصلوات اليومية ، بل كل ما فرضه الله من أمور أي كل الواجبات ، فلا بدّ أن يكون هناك عمل ونتيجة خارجيّة مرتبّة على الإيمان القلبي بالإمامة وعلى القول بالإمامة ، فلا بدّ أن توجد ثمرة عملية مرتبّة على الاعتقاد القلبي .

إذن : إذا قامت حياة الإنسان على تطبيق ما يريده الإمام المعصوم عليه السلام فهذا يكون مؤمنا متّبعا له ، أما من يقول بلسانه فقط إنه معتقد بالإمامة فهذا لا يكون مؤمنا واقعا ، والإيمان درجات والمؤمن يحاول الوصول إلى الدرجات العليا ، فإذا كان مطيعا لإمامه في كل شيء فإنه يكون قد بلغ الدرجة العليا ، والمؤمن بهذه الصفة يكون مؤهلا لأن يكون من أنصار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، أما إذا اتخذ شريكا في طاعة الإمام فلن يصل إلى مرتبة الأنصار ، بل قد يظهر الإمام عليه السلام ويكون من المحاربين له مع أنه يقول بلسانه إنه مؤمن

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٣ ح ٢ .

١١٨ الحاجة إلى الإمامة - القسم الثاني

ويدعو في دعائه : " اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والمجاهدين تحت لوائه والمستشهادين بين يديه " ، فلا يكفي أن يقول الشخص إنني مؤمن ، بل لا بدّ أن يكون هناك إقرار باللسان واعتقاد في القلب وعمل بالأركان .

النتيجة :

يجب على المؤمن أن ينسّق مع الإمام عليه السلام .

النقطة السادسة : كيف يكون المؤمن متّبعا لإمامه ؟

إن من يريد أن يبني حياته على أساس الاعتقاد بالإمامة وعلى الطريقة التي يريدّها الإمام المعصوم عليه السلام فلا بدّ أن يكون عارفا عالما بما يريده الإمام ، فبدون العلم لا يستطيع المؤمن أن يتحرّك في هذا الطريق ، فإذا كنت تعتقد بالإمامة فلا بدّ أن تكون عالما بما يريده إمامك ، وهنا يأتي دور وجوب طلب العلم ، ففي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " (١) .

وهذا لا يعني أن كل علم واجب على المؤمن ، بل هناك علوم لا بدّ أن يطلبها المؤمن حتى تكون حركته صحيحة في الطريق الذي يؤدي إلى الله عز وجل .

(١) بحار الأنوار ج ١٠٥ ص ١٥ .

في رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : " اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد " (١) .

فالمؤمن يجب عليه أن يطلب ما يريده إمامه منه لأنه في كل لحظة من لحظات حياته يحتاج إلى معرفة تكليفه الشرعي ، فقبل أن يتحرك لا بدّ أن يعرف هذا التكليف وما يريده الإمام منه في هذه الخطوة ، هل يريد منه التّقدّم أو التّوقّف أو له حرّية الاختيار ؟ ، لذلك يجب عليه أن يطلب العلم من بداية حياته إلى آخرها .

إن المؤمن يحتاج في كل مرحلة من مراحل حياته إلى العلم ، لذلك يجب على المؤمن طلب العلم بالمقدار المعتدّ به حتى يساعده هذا العلم على التحركّ الصحيح باتجاه الله عز وجل ، فهناك حدّ أدنى من العلم مطلوب من كل مؤمن ، ومن يريد أن يتوسّع أكثر فهذا راجع إليه ويزداد بذلك بصيرة أكثر ، فالمطلوب هو مقدار معيّن يجب أن يطلبه كل مؤمن ، أما أن يأتي الإنسان فيقول إنه مؤمن بالإمامة ، فتسأله عن الأئمة عليهم السلام وعن كلماتهم ومواعظهم فيقول لا أعرف عنهم شيئاً ، أو تسأله مسألة

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٣

شرعية بسيطة فيجيب لا أعلم ، فصلاته قد لا تكون بشكل صحيح ، ووضوؤه كذلك ، فمجرد قوله إنه مؤمن بالإمامة من غير أن ينسّق أعماله مع الإمام يؤدّي إلى بطلان أعماله ، فإذا كان وضوؤه غير صحيح فصلاته بالتالي ستكون باطلة ، وكذلك بقيّة أعماله ، فمثلا قد يأخذ أحكام الحج من المذاهب الأخرى ويذهب إلى الحج ويطبّق هذه الأحكام ، فيكون حجّه باطلا حتى لو حجّ جميع دهره وطوال عمره .

إذن : ذلك الإنسان الذي يدّعي الإيمان وذلك الذي لا يؤمن بالإمامة أصلا كلاهما سيّان لأن كليهما لا يأخذان من الإمام عليه السلام الأحكام الشرعية والمسائل الدينية ولا يقيمان حياتهما على أساس أقوال الأئمة عليهم السلام ، فمن ناحية عملية كلاهما يعيشان بنفس الطريقة ولهما نفس الرغبات الدنيوية ، فماذا قدّم الإيمان لمن يدّعي الإيمان ؟ وماذا أضاف الإيمان على حياته ؟ وكيف يقول إنه مؤمن بالإمامة مع أن إيمانه لم يقدم له شيئا إضافيا على ما يفعله غير المؤمن بالإمامة ؟

ولنتقارن بين الإنسان المؤمن والإنسان الكافر ، اسأل الإنسان الكافر : ما هي رغباتك وما الذي تحبّ أن تحصل عليه في

الدنيا ؟

الحاجة إلى الإمامة - القسم الثاني ١٢١

فيقول - مثلا - : " أحبُّ أن أحصل على منزل وسيارة وراتب جيد وزوجة جميلة وأن أعيش حياتي بسعادة وراحة ورخاء " .
وتسأل الإنسان الذي يقول إنه مؤمن بنفس الأسئلة ويجيب بنفس الأجوبة .

فأسأل - إذن - : ما هو الفرق بين المؤمن والكافر ؟ ما الذي أعطى الإيمان لهذا الشخص الذي يقول إنه مؤمن ؟ ما الذي استفاده من الإيمان والاعتقاد بالإمامة ؟ كيف تكون رغبات المؤمن والكافر واحدة في الحياة الدنيا ؟ ألا تكشف وحدة الرغبات عن أن الإيمان عنده عبارة عن كلمات ينطق بها فقط وأنه لم يدخل إلى قلبه حتى ينعكس من قلبه على أفعاله فيكون له ثمار عملية خارجية ؟

إذن : إذا لم تكن حياة المؤمن قائمة على الإمامة كأصل من أصول الدين فهو يعتقد بدين ، ولكن ليس هو الدين الذي يريده الله عز وجل ، بل هو دين منحرف عن خط الإمامة ، إن هذا الإنسان اعتقاده بالإمامة لم يقدم له شيئا ، وفي الواقع هو ليس معتقدا بالإمامة أو أن اعتقاده ضعيف يزول بسرعة ، فلو كان اعتقاده بالإمامة قويا لارتبط بها ارتباطا قويا ولظهر أثر هذا الارتباط على حياته العملية في هذه الدنيا .

الخلاصة :

إن الاجتماع في المناسبات لا بدّ أن تكون له ثمرة عملية تظهر على حياة المؤمن ، والدين قائم على أساس الإمامة ، فبدون الاعتقاد بالإمامة لا يوجد دين إسلامي ، والاعتقاد بالإمامة أمر فطري عند كل إنسان سواء أتى بها بلفظ " الإمامة " أو بألفاظ أخرى ، ودور الإمام عليه السلام هو قيادة الناس في طريق الهدى باتجاه الله عز وجل ، لذلك لا بدّ أن يكون عالما ومعصوما ، والنبى صلى الله عليه وآله كان هو الإمام والقائد في زمانه ثم انتقلت القيادة إلى الأئمة الاثني عشر عليهم السلام واحدا بعد الآخر حتى تصل إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، ودورنا تجاه الإمام عليه السلام هو الاعتقاد به والطاعة والاتباع العملي لا فقط القول النظري بحيث إن حياتنا تقوم على أساس هذا الاعتقاد والاتباع العملي .

جعلنا الله وإياكم من المتبعين والسائرين على طريق أهل البيت عليهم السلام ، وحشرنا الله وإياكم مع محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين .

يقول الله تعالى حكاية عن لسان المؤمنين :

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١) .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم

محمد وآله الطيبين الطاهرين .

(١) آل عمران : ٥٣ .

محتويات الكتاب

مقدمة	٥
التزام المؤمن بدين الله - القسم الأول	١١
التزام المؤمن بدين الله - القسم الثاني	٢٤
الرسول صلى الله عليه وآله أسوة حسنة	٣٧
شجرة الإيمان وشجرة الكفر	٥٠
الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الأول	٦٣
الارتباط بين حب الله واتباع الرسول - القسم الثاني	٨١
الحاجة إلى الإمامة - القسم الأول	٩٨
الحاجة إلى الإمامة - القسم الثاني	١١١